منهاج البحث وتصنيفه

إعداد

محمود محمد علي الكردي

مدرس بقسم الأدب والنقد

كلية اللغة العربية

عن أبي بُـردة عن أبي موسـى عن النبـي صـلى الله عليـه وسلـم قـال "مثـل مـا بعثنـي الله بـه مـن الهدى والعلـم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا، فكان منها نَقِيَّةٌ قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشـب الكثير، وكانت منها أَجادِبُ أمسكت المـاءَ فنفـع الله بها الناسَ فشربوا وسقوا وزرعـوا، وأصـابت منها طائفةً أخرى إنما هي قيعانٌ لا تُمسِكُ ماءً ولا تنبت كلأً. فذلك مَثَلُ من فَقُه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فَعَلِمَ وعَلَّم، ومثل من لم يرفع بـذلك رأسـاً ولم يقبـل هـدى الله الـذي أرسـلت بـه".

صحيح البخاري.

منهاج البحث وتصنيفه

محمود محمد علي الكردي

مدرس بقسم الأدب والنقد

كلية اللغة العربية

الملخص

هذا البحث يتناول طريقة القيام بالبحث العلمي في مجال فن القول، الأدب وعلومه المختلفة. يتركز النقاش حول تحديد المفهوم الدقيق لمنهج البحث، والتعريف بمكوناته. ثم ينصب الكلام على طريقة كتابة البحث العلمي بأسلوب أنيق رصين، يليق بأمة اقرأ. والقاعدة الأم التي يسير عليها البحث هي: اقرأ تكتب إن الكتابة من الكتابة. وقد سميت البحث *منهاج البحث وتصنيفه* تأثرا بأول عنوان كتاب حازم القرطاجني *منهاج البلغاء وسراج الأدباء* وبمفهوم التصنيف الشائع في التراث.

* * *

Search platform and classification

Mahmoud Mohammed Ali Al-Kurdi

Teacher in the Department of
Literature and Criticism

Faculty of Arabic Language

Summary:

The "mother" rule of this paper is "read-write, writing comes from writing". In this light, my paper tackles the question of literary research by attempting to clarify the accurate definition of the word "manhaj" and its components. I then introduce an outline of writing a literary paper. My paper's title is influenced by Ḥāzim al-Qarṭājannī's book *Minhāj al-Bulaghā'*, and by the medieval concept of *tasnīf*.

المحتويات

• حديث شريف عن العلم .....
• الملخص .....
• المحتويات.....
• مقدمة .....
• باب: معنى البحث ومنهاجه .....
• فصل: معنى البحث .....
• فصل: منهاج البحث.....
– معنى المنهج.....
– تقسيم المنهج: المناهج النقدية شيء ومنهج البحث شيء آخر .....
– القراءة ١.....
– الملاحظة.....
– السؤال.....
– القراءة ٢.....
– التحليل .....
– الرأي والاستدلال .....
– المقارنة والتعليل.....
– الاستشكال والرد.....
– التنظير والتمثيل.....
• باب: التصنيف .....
– مراحل الكتابة .....
– الفقرة .....

- المقدمة .....
- الصلب .....
- الخاتمة .....
- باب: المراجعة .....
- الخاتمة .....
- المراجع .....

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الله أكبر والحمد لله

ذكر بعض النقاد أن حازم القرطاجني – رحمه الله – ألف كتابه *منهاج البلغاء وسراج الأدباء* لما رآه من تردي حال الشعر في زمنه بعد أن كان الشعر العربي يتلألأ في عليائه، فغمه ذلك الأمر، وجعله يضع منهاجا للبلغاء وسراجا للأدباء لعلهم يعودون سيرتهم الأولى الأفضل.(١)

ولا أدري ما الذي كان سيفعله حازم لو عاش زماننا، لكنني أشعر بما شعر به، ليس في الشعر وإنما في البحث في العلم. فعلو شأن البحث العلمي في كثير من الجامعات العربية أمر مدهش، ومن خرج إلى الدراسة في بلاد الشمال ثم عاد يكون أكثر دهشة واندهاشا. فالأبحاث التي يكتبها طلاب الدراسات العليا والأبحاث التي تنشر في المجلات وتلقى في المؤتمرات غالبا تتميز بالعمق والتركيز وقلة السطحية وقوة النقاش ووضوح الحجة والجرأة في الزعم والطرح. فتجد المجلات الأدبية ورسائل العالمية والتخصص والكتب المؤلفة لا تكاد ترسو على أرفف المكتبة ولا يعرف التراب إليها سبيلا من كثرة اطلاع الباحثين عليها محليا ودوليا. وتجد النظريات التي تنتجها عقول الباحثين عندنا تتلقفها عقول الباحثين حول العالم، وتنسج على منوالها، كأنهم يقتاتون على نتاج أفكارنا المذهلة. وها هي نظريات البحث في الأدب شاهدة على ذلك!

فأردت أن أبحث عن منهاج للباحثين وسراج للمصنفين في علوم الأدب،

---

(١) جابر عصفور، *مفهوم الشعر*، صـ١٢، ١٣.

لعلنا نعود سيرتنا الأولى، الأفضل جدا في رأيي.

وقد رجعت في تأليفي هذا البحث إلى نوعين من الكتب. فرجعت إلى الكتب التي تمثل طرازا جيدا للأبحاث العلمية في حقل الأدب الآن ومن قبل، آخذ منها الجوانب التي ينبغي أن تحتذى. فهذا هو سبيل الرشاد في إنتاج المعرفة بالبحث في العلم، أن نرجع إلى جيد الكتب العلمية فنستخلص منها آلة صنعها، وهو أمر آخر غير ما فيها من معلومات وآراء. ولا شك أني لم أرجع إلا إلى بعض هذه الكتب حسبما تيسر لي الاطلاع والاستفادة. ثم رجعت أيضا إلى الكتب التي تعنى بصناعة الأبحاث، أستفيد من صوابها ومن خطئها. وهذه الكتب أكثر من أن أعددها هنا، لعل أولها كتاب عبد الرحمن بدوي *مناهج البحث العلمي*. لكن الملاحظة العامة على كثير من هذه الكتب أنها تعتمد بنسبة تتجاوز أحياناً ٩٠ بالمائة على المراجع الغربية المعنية بشأن تبيينِ منهج البحث وشرحِ طريقة كتابته. فنجد في كتاب أحمد شلبي الشهير *كيف تكتب بحثا أو رسالة* أن المراجع التي اعتمد عليها كلها تقريبا إنجليزية. ويقول آخر في هذا الشأن:

> اننا لا نستغني كثيرا عن المصطلحات الغربية والمراجع الغربية لان هذا الفن – في جملته، وكما هو اليوم – غربي أخذناه عن الغرب، واننا اذ نستعمل كلمات مثل: المنهج، البحث، الخطة، الموضوع . . . إنما نستعمل كلمات أخذناها عن الغرب وأوجدنا لها ترجمات معتمدين ثقافتنا أو الرجوع إلى المعجمات القديمة للوقوف على صلة رابطة بين كلمة عربية ومصطلح غربي. . . ولكننا لا نفهم هذه الكلمات التي صارت مصطلحات عربية في استعمالنا العلمي بالرجوع إلى قواميسنا

القديمة لانها ليست الاصل في التحديد والتعريف؛ ان الأصل في ذلك، الكلمات الغربية كما يحددها الغرب في جامعاته وقواميسه وكتبه واستعماله اليومي.(١)

فهناك انجذاب قوي نحو تتبع خطوات أهل الشمال في صنع المعرفة، طبعا لأنهم يهتمون بالبحث في العلم اهتماما ضخما، ونحن نهتم به اهتماما باهتا، خصوصا في اللغة العربية. لكن هذا الانجذاب لم ينفع حتى الآن، ولن يستقيم الحال حتى نُعمِل عقولنا في كيفية إنتاج العلم، علاوةً على العلم نفسه، خصوصا أن تاريخنا فيه فيضانات علمية لاتزال تبهر العالم حتى في مجال الأدب والنقد. فلا ينقصنا إلا أن نعمل عقولنا. والعجيب أن الكتاب المنقول منه آنفا نقل عن كاتب فرنسي اسمه جوستاف لُونْسُو (وليس لانسون)(٢) شيئا ليتنا نعتبر به، وهو قوله "ليس المنهج الذي أحاول ان أعطي فكرة عنه من ابتكاري، وما هو الا نتيجة لتفكيري في الخطة التي جرى عليها عدد من سابقيَّ بل واللاحقين من الناشئين".(٣) فنحن تعلمنا أن ننقل، وليتنا تعلمنا أن نفكر كما فكروا. فإن من أجمل ما يتعلمه الإنسان التفكير. وعلى كل حال فالحكمة ضالة المؤمن.

---

(١) علي جواد طاهر، *منهج البحث الأدبي*، صـ ١٠، ١١. ويبدو أن الطباعة أسقطت الهمزة من بعض الكلمات.

(٢) إنما أكتب أسماء الأعلام الأعجمية كما تنطق لا كما تكتب؛ كي لا ننطقها خطأ. وبعض اللغات تكتب شيئا وتنطق شيئا، مثل اسم الشاعر الإنجليزي **Shelly** ونطقه شِلِي، فيأتي بعضنا ويكتبه شللي أو شلّي! فلنكتب ما ينطق.

(٣) علي جواد طاهر، *منهج البحث الأدبي*، صـ ١٧، نقله عن ترجمة محمد مندور كتاب *منهج البحث في الأدب واللغة*، صـ١٦. التأكيد من عندي.

وبعض الكتب التي أُلِّفت في مجال البحث لا تعتمد على المراجع الغربية، بل تعتمد على خبرة المؤلف الشخصية ووجهات نظره، وهذا ممتاز. لكن يعيبها أن صيغت بأسلوب افعل ولا تفعل، فيكون الكلام من باب التوجيهات الجافة من طلاوة العقل والنقاش والإقناع. وأكثر هذه الكتب يكرر بعضها بعضا.

وفي كلٍّ فوائد، ومن هذه الفوائد أنهم دفعوا غيرهم لينحو منحى آخر غير التوكؤ على تفكير أهل الشمال، وغير افعل ولا تفعل.

في هذا البحث يتركز الحديث في الباب الأول حول معنى كلمة بحث، وهذا مفتاح العلم بصناعة العلم. وبعد ذلك أناقش المفهوم السائد لكلمة "منهج" وأنقده، وأحاول تصحيحه وأن أرسم خطوات منهاج البحث. وفي الباب الثاني أضع تصورا لطريقة كتابة البحث العلمي. وفي الباب الثالث أتحدث عن المراجعة التي بها يتم البحث. ثم ألحقت بالبحث تلخيصا لما خبرته من دراسة الأدب في الولايات. لعل هذا ينفعنا بشيء.

بسم الله توكلنا على الله.

* * *

باب: معنى البحث ومنهاجه

فصلٌ: معنى البحث

كلمة بحث ومادتها ب ح ث أصواتها متميزة؛ لأنها على ثلاثة أصوات، الأول والأخير يخرجان من قريب. فالباء من الشفة، والثاء من طرف اللسان مع طرف الثنايا العليا. أما الصوت الأوسط فهو مختلف في مخرجه تماما؛ لأنه يأتي من الحلق، من وسطه، فبينه وبين الصوتين الآخرين مسافة.

وهذا البيان المخرجي يوحي بأن الكلمة تبدأ من مكان/مخرج ثم تذهب إلى مخرج آخر بعيد وعميق ثم تعود مرة أخرى قرب المخرج الأول. فكأنها رحلة بدايتها ونهايتها متقاربتان ولكن وسطها بعيد. وصوت كلمة بحث مشابه لمعناها اللغوي والاصطلاحي. فمعنى بَحَثَ طَلَبَ شيئا في التراب، ولما توارت مُدْيَةُ جزار تحت التراب وهو يهم أن يذبح شاة، وضربت الشاة الأرض برجلها حتى بانت المدية، قالوا على سبيل المثل السائر: كالباحثة عن حتفها بظلفها، وصارت مثلا يضرب لمن اجتهد فيما يضره.[١] وجاء في كلام الفاروق رضي الله عنه أنه قال لسعيد بن العاص رضي الله عنه، وقد مَرَّ به "إني أراك كأن في نفسك شيئا، أراك تظن أني قتلت أباك، إني لو قتلته لم أعتذر إليك من قتله، ولكني قتلت خالي العاص بن هشام بن المغيرة، فأما أبوك فإني مررت به وهو يبحث بحث الثور بروقه[٢] فحدت عنه، وقصد له ابن عمه علي فقتله".[٣] ومن قبل ذلك قول الله تعالى "فبعث

---

(١) ابن منظور، *لسان العرب*، صـ٢١٤.

(٢) أي بقرنه.

(٣) ابن هشام، *السيرة النبوية*، جـ ٢، صـ ٢٧٨.

الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه"(المائدة ٣١).

إذن البحث طلب الشيء في التراب، ووجه الشبه بين معنى وصوت كلمة (بحث) أن الذي يبحث في الأرض يبدأ بضرب سطحها الذي هو كالشفتين – مخرج الباء – بالنسبة لمخارج الحروف، ويُعَمِّقُ في الأرض، كما يتعمق صوت الحاء في مخارج الأصوات، ثم يستخرج ما يريد إلى ظهر الأرض، كالثاء التي تكون عند طرف اللسان مع طرف الثنايا العليا ثم يخرج معها الهواء. فرحلة نطق كلمة بحث كرحلة طلب الشيء في التراب.(١)

والمعنى الاصطلاحي لكلمة بحث هو الوصول مما هو معلوم إلى العلم بما هو غير معلوم. مثل البحث عن معنى آية أو حديث، حيث يبدأ الباحث بتفسير الألفاظ ثم التراكيب أي الجمل ثم ينظر مثلا سبب النزول الخ. فيصبح معنى الكلام واضحا معلوما. وهذا يشبه الذي يبحث عن شيء في الأرض، وهذا يشبه نطق أصوات كلمة بحث.

والبحث في العلم حتم؛ لأن الخالق سبحانه وتعالى جبل الإنسان على حب المعرفة، وجعل له عقلا ودعاه للتفكر والتدبر ليقول سبحان الله ويخشاه. دعا الله عباده ليتفكروا فيما خلق فيروا قدرة الله وعظمته في هذا الكون الهائل الدقيق، ودعاهم ليتفكروا فيما قال ليعلموا مراده ويقوموا بأمره ونهيه ولا يفتنهم الشيطان. ولما قال تعالى "ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم" (النساء ٨٣)، أعلمنا أن هؤلاء علماء يستنبطون مالا يعلمون مما يعلمون، فيحصل لهم علم جديد، وهذا لُبُّ البحث في العلم.

---

(١) وهذا يدخل تحت ما ذكره ابن جني بعنوان "إمساس الألفاظ أشباه المعاني"، *الخصائص*، جـ٢، صـ ١٦٣. وكذلك ما ذكره عبد الله الطيب من أمر "أصول الألفاظ –الألفاظ الوصفية"، *المرشد إلى فهم أشعار العرب*، جـ٢، صـ ٤٦٧، ٤٦٨.

والبحث يشتمل على الاستنباط ضرورة. إذ الاستنباط استخراج الماء من باطن الأرض، والنَّبط هو الماء المستخرج من الأرض،[١] وهو كذلك استخراج الأمور المجهولة من حيز الجهل إلى حيز العلم. فمن يستنبط الأمر المجهول ليعلمه الناسُ جعلته العربية الكريمة كمن يستنبط الماء من الأرض ليشربه الناس.[٢] والاستنباط إذن هو ثمرة أي بحث؛ لأن البحث كما مر طلب الشيء، والاستنباط استخراج الشيء وإظهاره. فالباحثون عن المسألة في علم الفقه أو الحديث أو الطب أو الهندسة أو اللغة أو الأدب يشتركون كلهم في أنهم يطلبون أشياء ويستخرجونها، كل في بابه. فبالبحث ينمو العلم.

وتتميز الأبحاث الأدبية عن غيرها من الأبحاث في فروع العلم من حيث إن الأدب فن يعتمد على لغة وعواطف وخيالات المبدعين من الشعراء والكتاب، وليس على ظواهر كونية أو حقائق علمية.

فالطبيب يبحث في داء الحمى – مثلا – من حيث أسبابه وأعراضه وطرق علاجه، لكن الأديب الناقد يبحث كيف صور الشاعر أبو الطيب الحمى في شعره وجرد منها شخصا له عقل وتصرف، ثم كيف أسقط حاله مع الحمى على حاله مع الناس وحياته بشكل عام.

والمهندس يبحث كيف يصنع آلة لتقوم بعمل ووظيفة، وقوانين الدفع والحركة، ويبحث عن حلول لمشكلة ازدحام الناس في المدن وكيفية التوسع

---

(١) كل ما أُظهر فقد أُنبط، والنبط الماء الذي يخرج من قعر البئر حين تحفر، ويقال نبط وأنبط واستنبط البئر أي أماهها. لسان العرب، صـ ٤٣٢٥.

(٢) فكأن حاجة الناس إلى الماء وحاجتهم إلى العلم سواء، وهذا من كرم العربية وعظمتها.

العمراني. بينما يبحث الأديب الناقد سر بناء القصيدة الجاهلية على نمطها المعروف من أطلال وغزل ورحلة وفخر أو مدح، وعن علاقة هذا البناء بمعاني الشعر ونفسية الشاعر وحال المجتمع، ويبحث كذلك عن الأنماط البنائية المختلفة التي ظهرت في العصور اللاحقة.

والنحوي يبحث في الأرجح من أقوال النحاة في مسألة ما أو يبحث في ظاهرة نحوية مثل معاني النحو وعلاقاته، وعالم الأصوات يبحث في الظواهر الصوتية مثل الكشكشة، واختلاف اللهجات. وجميعهم يعتمد على قواعد مرساة وروايات محكمة عمن سبق من الصوتيين والنحاة والعرب. فحين يأتي الأديب الناقد يبحث في سبب شيوع ظاهرة لغوية في شعر شاعر أو نثر ناثر، ودلالات وإيحاءات هذا الأمر، ويبحث في قاموس كل شاعر، ويتأول ما يستنتج من معلومات من خلال رؤيته وتذوقه للنصوص.

إذن نرى مما سبق أن البحث الأدبي – على أنه يشارك الأبحاث الأخرى في جوهر عملية البحث – يتميز باعتماده على دراسة الأفكار والعواطف وتذوق الناقد للنصوص التي يدرسها، ففيه مساحة من الذاتية لا تتوفر لغيره من الأبحاث العلمية.

والبحث في الأدب[1] ليس بعيدا عن البحث في التفسير والحديث؛ لأن البحث في الأدب بحث في الكلام أساليبه وخصائص نظمه ومعانيه، وبحث في طرائق فهم النصوص ونقدها، وكل هذا بُلْغة إلى فقه كلام الله تعالى وكلام رسول الله ﷺ، لاسيما بعد ضعف السليقة الفصيحة وفشو اللحن

(١) النقد الأدبي والبلاغة يفرق بينهما أحيانا كمجالين مختلفين، مثل الأدب والنحو. وهذه التفرقة ليست مقنعة لي. فالبلاغة والنقد الأدبي أقرب من أن يكونا مجالين مختلفين.

والعجمة في ألسنة العرب.

فمن نماذج الأبحاث الأدبية البحث عن مذاهب الفن في الشعر العربي، بمعنى هل هناك طرق فنية متميزة أنتجها الشعر العربي عبر العصور، وكيف تتميز هذه المذاهب عن بعضها، وقد نتج عن هذا البحث كتاب *الفن ومذاهبه في الشعر العربي* لشوقي ضيف رحمه الله تعالى. كذلك البحث عن سر تسمية العرب بيت الشعر باسمه، وعن العلاقة المشكلة بين الشعر العربي الأصيل وأنماط الشعر الحديث، وقد نتج عن هذا البحث كتاب *بيت الشِّعر وبيت الشَّعر* للسعيد عبادة. أيضا البحث عن سر ترتيب قصيدة "إن بالشِّعب" لتأبط شرا، ونقد ما قاله جيته – الشاعر الألماني – حول ترتيب أجزاء القصيدة، ثم سبر أغوار ترتيب الأبيات في القصائد بصفة عامة، وقد نتج عن هذا البحث كتاب *نمط صعب ونمط مخيف* لمحمود شاكر رحمه الله تعالى. ومن نماذج البحث الأدبي كذلك البحث عن مظاهر الوحدة الفنية في القصيدة الجاهلية، وقد نتج عن هذا البحث رسالة تخصص بعنوان "الوحدة في الشعر الجاهلي" للباحث رجب إبراهيم الشحات رحمه الله تعالى، وأيضا البحث عن تصوير الحيوان في الشعر الجاهلي، وقد نتج عن ذلك رسالة عالِمية بعنوان "التكرار النمطي لصورة الحيوان والطير في الشعر الجاهلي" لبدوي الصاوي. وكذلك من نماذج الأبحاث الأدبية البحث عن مواطن التشابه والاختلاف بين الأمثال في الأدب العربي والأدب الإنجليزي، ونتج عن هذا مقال بعنوان " طبيعة الأمثال بين العربية والإنجليزية" لمحمد عبد الجواد فاضل، والبحث عن الخيال في فن المفاخرات والذي نتج عنه مقال بعنوان "المفاخرات المتخيلة في النثر العربي: تأريخ وتقويم" لمصطفى السواحلي.

هذه النماذج المختلفة تعكس أشكال الأبحاث المكتوبة. فقد يكون كتابا أو رسالة جامعية أو مقالا منشورا أو بحثا صفيا في إحدى مراحل التعليم. وسواء كان البحث كتابا أم مقالا أم رسالة أم غير ذلك، فإن للبحث سمات لابد أن تتوافر فيه كي يرقى إلى مرتبة العلم. فمن ذلك أن يكون البحث معبرا عن شخصية الباحث بحيث يُعرف الباحث من بحثه؛ ومن ثم فلا ينبغي أن يكون البحث مجرد تجميع لكلام الآخرين من دون إضافةٍ من عند الباحث نفسه، بل لابد أن يتخذ الباحث من بحثه منبرا ليعبر عن وجهة نظره ورأيه فيما يتناول. وعندئذ تتبلور الشخصية في صورة النقاش والأخذ والدفع إلى غير ذلك من تقنيات البحث العلمي. ومن سمات البحث العلمي أيضا ألا يكون منقطع الصلة بالبيئة التي أنتجته، بل ينبغي أن يكون هناك ربط بين الظروف المجتمعية والبيئية وبين موضوع البحث، حتى لو كان موضوع البحث بعيدا عن ذلك. فما أبعد العصر الجاهلي عن عصرنا، ومع ذلك فمن يبحث في الأدب الجاهلي عليه أن يبين فائدة بحثه التي تعود على من يطالعه سواء كانت فائدة توضيحية أو فائدة توجيهية أو غير ذلك. ومن يبحث مثلا في كتاب *منهاج البلغاء* لحازم القرطاجني المتوفى في القرن السابع الهجري لا ضير عليه أن يبين مميزات الكتاب ويوصي باعتمادها في النقد المعاصر، فهذا خير من أن يكون البحث مبتور الصلة بالواقع الذي نعيشه.

ومن سمات البحث أيضا أن يكون ذا موضوع محددٍ وغايةٍ محددةٍ واضحةٍ كي لا يكون كدردشة الهواتف وثرثرة المساطب، بل ينبغي أن يكون البحث مبينا لا تشتت فيه ولا فوضى. ولا ريب أن ضيق الموضوع واتساعه يتفاوت حسب حجم البحث، فموضوع الكتاب لا شك أكبر من موضوع

المقال. لكن على كل حال، لا بد من تحديد الموضوع والغاية التي ينشدها البحث. وتبيين ذلك يأتي إن شاء الله تعالى.

ومن أهم سمات البحث أن يكون مصنوعا على منهج. ومنهج البحث هو طريقه الذي يسير عليه إلى أن يصل إلى غايته. وكل شيء لابد له من منهج، فبناء البيت لابد أن يكون له منهج، وبناء السدود له منهج كذلك، وإجراء عملية جراحية في جسم الإنسان له منهج بل مناهج يعرفها الأطباء، وزراعة الأرز لها منهج، وزراعة الموز لها منهج، وتربية الأسماك لها منهج، وكل شيء له منهج. فكذلك عمل البحث له منهج.

* * *

فصلٌ: منهاج البحث (المنهج)

المَنْهَج مَفْعَل من نَهَج ينْهج نَهْجا أي وضح واستبان، وغالبا يستخدم مع الطريق، فيقال طريق نَهْجٌ ومَنْهَجٌ، ويقال أَنْهج الطريق يعني استبان، ويقال منهج ومِنهاج ويعنى به الطريق الواضح.(١) والله تعالى يقول "لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا" (المائدة ٤٨)، والمنهاج بناء مبالغة من النهج. ويروى عن سيدنا العباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه أنه قال "إن رسول الله لم يمت حتى تركّكم على طريق ناهِجَةٍ"،(٢) وتقول العرب "اعمل على ما نهجته لك".(٣)

فالمنهج إذن هو السبيل والطريق الواضحة البينة التي لا يضل من سلكها، والمنهاج مثل ذلك وأبلغ.

وحين يستخدم لفظ المنهج في مجال العلم فالمعنى يكون أن سبيل العلم وطريق البحث فيه واضحا لا اضطراب فيه ولا فوضى. فكأن البحث سفر له بداية ونهاية، والباحث كأنه مسافر، والطريق التي يسلكها في سفره – أي في بحثه – حتى يصل إلى غايته هي المنهج. فالمنهج للبحث كالطريق الواضح للسفر.

كثيرا ما انشغل الكتاب العرب بتقسيم مناهج البحث، وإطلاق مصطلحات يسمون بها كل منهج، وبيان خطواته ومَيْزَاته وعيوبه وأبرز الأبحاث التي

---

(١) *لسان العرب*، صـ ٤٥٥٤.

(٢) أبو سليمان الخطابي، *غريب الحديث*، جـ٢، صـ٢٤١.

(٣) *لسان العرب*، صـ ٤٥٥٤.

تمثله. فجاءت أنواع المناهج مختلفة تبعا لرؤية من يقوم بالتقسيم والمراجع التي يعتمد عليها.

وكان من أسبق الناس إلى الحديث عن أقسام المناهج البحثية عبد الرحمن بدوي في كتابه *مناهج البحث العلمي* الذي كثر ترداد الباحثين والمؤلفين إليه. وقد قسم المناهج قسمين: تلقائي وتأملي. فالمنهج التلقائي هو الذي لا تحكمه قواعد محددةٌ مسبقا يلتزم الباحث اتباعها، بل هو منهج ينشأ بديهة من غير قصد ولا يتضح إلا بعد الفراغ من البحث ثم ملاحظة أن هناك نظاما كان البحث يسير عليه بشكل تلقائي. وعلى النقيض من ذلك يكون المنهج التأملي، فهو منهج ناتج من تأمل ما بين أيدينا من معارف وعلوم واستنباط الطرق التي بنيت عليها، وتحديد قواعد كل طريقة وقوانينها وخطئها وصوابها، ومن ثَمَّ تكون هناك قواعد معلومةٌ وخطواتٌ مرسومةٌ لكل طريقةٍ أي لكل منهج يلتزم الباحثون تنفيذه في أبحاثهم.(١)

وقد وفق عبد الرحمن توفيقا في هذا التقسيم؛ لأن كثيرا من المؤلفين لم يكن في ثقافتهم مناهج مُسَمَّاة كالمنهج الوصفي أو التاريخي أو الطبيعي كما هو الحال في الثقافة المعاصرة. وهؤلاء الكتاب هم الذين يرسمون لأبحاثهم منهجا تلقائيا نابعا من شخصيتهم ورؤيتهم. ومثل هذا تجده عند الجاحظ وابن قتيبة وعبد القاهر الجرجاني، على أن بعضهم قد يكون له منهج دقيق إلى درجة التعقيد مثل حازم القرطاجني في كتابه المتميز منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ثم تجد امتدادا لهذا النوع من التأليف عند مصطفى صادق الرافعي ومحمود شاكر ومحمد أبي موسى ومن لَفَّ لَفَّهم. والشاهد على تلقائية المناهج التي توجد عند هؤلاء الكتاب هو أن بعض الباحثين يصنعون أبحاثا

(١) عبد الرحمن بدوي، *مناهج البحث العلمي*، صـ ٥ ، ٦.

في تبيين مناهجهم، فقد صار ذلك أمرا يحتاج إلى بحث، وليس ذاك إلا لأن مناهجهم تلقائية وليست تأملية مسماة ومحددة القوانين والخطوات. ومن ذلك كتاب *مناهج التأليف عند العلماء العرب* لمصطفى الشكعة رحمه الله تعالى، حيث قام في هذا الكتاب المطول بتتبع المناهج التلقائية – جريا على مصطلح عبد الرحمن بدوي – التي اصطنعها الكتاب السابقون، ويدفع بذلك الشبهة التي يتغنى بها بعض الناس فيقولون إن الكتابات التراثية فوضوية لم تبن على مناهج مستقيمة. وكذلك قام كمال لاشين بالبحث عن منهج محمد أبي موسى في أبحاثه.(١)

وأما المنهج أو المناهج التأملية فهو ما أنتجته الحضارة الحديثة من خلال تأمل مصادر المعرفة، بحيث صار هناك علم اسمه علم المناهج – كما بين عبد الرحمن– يبين أنواعا محددة من المناهج وقوانين وخطوات كل منها، مثل المنهج الاستدلالي أي المنطقي، والمنهج التجريبي، والمنهج التاريخي.(٢)

وبالرغم من واقعية أمر المنهج التلقائي ووجوده في العصر الحالي وفي العصر الخالي، إلا أن أكثر الكتب التي عُنِيَت بمناهج البحث تناست أمر المنهج التلقائي، ولم تناقش إلا المناهج التأملية.

ومن أشهر هذه الكتب كتاب شوقي ضيف *البحث الأدبي: طبيعته، مناهجه، أصوله، مصادره*. وحين ناقش الكاتب أمر المناهج البحثية كان شارحا لمناهج البحث التي انتهجها الأوربيون في دراساتهم، فبيَّن نشأة كل منهج وأبرز رواده ثم الملامح العامة له. فمثلا عندما تحدث عن "منهج

(١) كمال لاشين، "منهج محمد أبو موسى في قراءة الشعر القديم".

(٢) *مناهج البحث العلمي*، صـ ٦.

العلوم الطبيعية" ذكر أنه نشأ في القرن التاسع عشر متأثرا بالنهضة التي حدثت في العلوم الطبيعية، وتولى كِبْرَه سَنْت بيف، وتِنّ، وبرونْتير، ثم جعل يفصل ما قاله كل واحد من هؤلاء ويبين ما يشابه ذلك مما كتبه العرب قديما وحديثا.(١) وعلى هذا النظام ذكر ضيف المناهج الآتية: الاجتماعي، النفسي، الفلسفي الجمالي، الذاتي الموضوعي. ثم ختم الباب بالحديث عما وَسَمَه بالمنهج التكاملي، حيث قال:

> لعل في الإلمامة بمناهج الدراسات الأدبية عند الغربيين ما يصور في وضوح كيف أنه لم يوضع لدراسة الأدب والبحث في شخصياته منهج واحد يعتمده جميع الباحثين الغربيين، وكأن البحث الأدبي أعقد من أن يخضع لمنهج معين . . . ولذلك كان من الواجب على الباحث أن يفيد من هذه المناهج والدراسات جميعا، وهو ما نسميه بالمنهج التكاملي، حتى تتكشف له جميع الأبعاد في الأديب وفي الآثار الأدبية، ونستطيع أن نستعرضها ونرى مقدار ما يصيبه من كل منها على حدة ومدى ما يمكن أن ينتفع بكل منها في بحثه الأدبي.(٢)

وهذا النص يدل على أن الكاتب إنما كان يشرح المناهج البحثية عند الغربيين وأن الباحث مطالب بتعلمها وصهر هذه المناهج جميعا حتى يتكون ما سماه "المنهج التكاملي" الذي يفيد من تلك المناهج كلها. وحديث ضيف عن تلك المناهج حديثٌ تاريخيٌ وصفيٌ، على أن تأريخه ووصفه لم يخلوا

---

(١) شوقي ضيف، *البحث الأدبي*، صـ ٨٩، ٩٠.

(٢) السابق، صـ١٣٩.

من تحليلٍ ومقارنةٍ أحيانا. لكن لم يحاول ضيف أن يضيف منهجا من تصوره هو، أو أن يستخرج منهجا من التراث لم يُتَحدَّث عنه، على فرض أن هناك مثل هذا.

وقوله في مطلع الفقرة السابقة "في الإلمامة بمناهج الدراسات الأدبية عند الغربيين" والتي فسرها بعد ذلك بمناهج " دراسة الأدب والبحث في شخصياته" يشير إلى أمر مهم وهو أن المناهج التي ذكرها مناهج وضعها النقاد لتحليل النصوص ودراسة الشخصيات الأدبية، لكن ماذا عما كتبه هؤلاء النقاد أنفسهم مما ليس بتحليل للنصوص ولا للشخصيات؟ أعني أن سانت بيف، وتن، وبرونتير كتبوا كتبا توضح منهج تحليل النصوص والشخصيات، لكن ما منهج سانت بيف وتن وبرونتير فيما كتبوه أنفسهم؟ فُلْفان إيزر كتب يوضح منهج تحليل النصوص، لكن ما المنهج الذي اتبعه إيزر فيما كتبه هو؟ هذا شيء آخر غير تحليل النصوص والشخصيات، هذا هو البحث في العلم الذي ليس مجرد تحليل قصيدة ودراسة شاعر من الشعراء، بل هو إنتاج لرؤية ونظرية وفلسفة نقدية، يُستفاد بها بعد ذلك في تحليل النصوص. وهذا أمر لا يتحدث عنه ضيف، فهو يتحدث عن المناهج التي وضعها النقاد الغربيون لدراسة النصوص والشخصيات الأدبية، لكن لا يتحدث عن منهج هؤلاء النقاد في أبحاثهم هذه. كيف بحثوا؟ لا ما الذي نتج عن بحثهم. وليته فعل. لأنه كالذي أعطانا الثمرة لكن لم يعلمنا الزراعة. فهو شرح لنا ما رآه النقاد وما انتهوا إليه، لكن لم يشرح لنا كيف رأوا ما رأوا، وكيف وصلوا إلى ما وصلوا. هذا هو الشيء التائه عنا أو الذي تُهنا عنه، ونريد أن نجده.

وقد سار على نهج كتاب ضيف كتاب كثيرون، كما نجد عند علي علي

صبح في كتابه معالم البحث الأدبي، حيث بين أن مفهوم المنهج قديما بمعنى البحث أو المعرفة أو النظر قد تطور في العصر الحديث فأصبح المنهج يعني "الطريق المؤدي إلى الغرض المطلوب . . . أو بمعنى أوضح هو مجموعة من القواعد العامة المصوغة من أجل الوصول إلى الحقيقة".(١) وجعل الكاتب المناهج ستة، أولها المنهج الاستدلالي وهو المنطقي الذي ينتقل فيه من المقدمات إلى النتائج، وثانيها منهج العلوم الطبيعية وهو كما وصفه يرفض الاحتكام إلى الذوق ويطبق نظريات علمية على الأدب مثل نظرية التطور وعلم الأجناس، وثالثها المنهج الاجتماعي وهو الذي يعتمد على ربط الأدب بالمجتمع، ورابعها المنهج النفسي وهو الذي يدرس الأدب من خلال نظريات علم النفس، وخامسها المنهج الفني التراثي وهو الذي يعتمد على دراسة جماليات النص بعيدا عن العلوم التطبيقية، وآخرها المنهج العام وهو كالمنهج التكاملي عند ضيف.(٢) وهذي هي الطريقة التي تعلمنا بها مناهج البحث في الجامعة. فقسموا مناهج البحث إلى تاريخي، وفني، ومقارن، واجتماعي، ونفسي.(٣) وهذه التقسيمات تكاد تتعدد بتعدد النظريات أو المناهج النقدية، ومن ثم فالحديث عن مناهج البحث ينقلب إلى حديثٍ عن تلك النظريات أو المناهج النقدية. والسؤال هنا: هل مناهج البحث الأدبي ومناهج/نظريات النقد الأدبي شيء واحد؟ وإن كان لا، فما الفرق؟

ولابد أن نفهم المنهج ونفهم النظرية أولا حتى نستطيع أن نجيب على

---

(١) علي علي صبح، *معالم البحث الأدبي*، صـ ٧٤.

(٢) علي علي صبح، *معالم البحث الأدبي* ، صـ ٧٤ : ٧٨.

(٣) وبعض الكتاب جعل منهج البحث بمعنى خطة البحث بداية من التصدير وانتهاء بالخاتمة والفهارس. انظر: محمد عبد المنعم خفاجي، *البحوث الأدبية*، صـ ٢٩.

السؤال السابق. وقد سبق بيان معنى المنهج. أما النظرية فهي من نظر ينظر نظرا، وهو حس العين – كما قال ابن منظور رحمه الله تعالى – وذكر أن النظر يأتي بمعنى التفكر في الشيء وتدبره وقياسه ولذا نقول نظر في الأمر، وسأنظر في هذا الأمر.[١]

ولا شك أن مصطلح النظرية قد اسْتُلَّ من هنا، فتكون أصلها "نَظَرٌ" بمعنى تفكرٌ وتدبرٌ، ثم زيدت ياء النسب فصارت "نظريّ" بمعنى عمل منسوب إلى النظر والتفكر، ثم زيدت التاء للمبالغة – كما في علامة وفهامة – فصارت "نظرية" ومعناها عمل أو قول شديد التعلق والنسبة إلى النظر والتفكر والتأمل.[٢] فالنظرية هي نتاج التفكر والتدبر في أمر من الأمور.

وبناء على هذا يكون قولنا نظرية التشعيث مثلا معناه خلاصة التفكر والتأمل في أمر تشعيث أزمن نظم القصيدة، ونظرية الشكلية هي خلاصة تفكر وتأمل النقاد في شكل النص الأدبي، وهكذا.

إذن النظرية تنصرف إلى نتاج النظر في الشيء وتدبره، والمنهج طريقة العمل فينصرف إلى الطريقة الواضحة للبحث في العلم، وهذا أمر غير النظرية في العلم. فالمنهج لا يخص نظرية دون أخرى، بل هو خطوات وإجراءات وعمليات يقوم بها الباحث الذي يتبع نظرية البنائية، والذي يعمل بنظرية ما بعد الاحتلال، والذي يتبع نظرية التشعيث، والذي يعمل بنظرية علم النفس. فالمنهج طريق عام للباحثين على اختلاف نظرياتهم. ويشتمل على أشياء لا يمكن لباحث أن يستغنى عنها مثل القراءة والملاحظة والسؤال

---

(١) *لسان العرب*، صـ ٤٤٦٥.

(٢) وهذا الشرح العقلي خير من أن نقول إن "نظرية" مصدر صناعي من "نظر"، بدون أن نبين معنى اللفظ وتطور اشتقاقه.

والتحليل. قد يزيد على ذلك أمرا أو أكثر يقتضيه نظره ونظريته، لكن يبقى المنهج هو طريق الباحثين الواضح.

على سبيل المثال، قد يكون كتاب *البخلاء* للجاحظ موضوعا لعدة أبحاث أدبية، منها بحث ينصب العمل فيه على وصفِ الكتاب وصفا تفصيليا، وبيانِ ما يتميز به عن الكتب الأدبية الأخرى، وبيانِ منهج الجاحظ في هذا الكتاب، ثم وصفِ الجوانب الفنية التي يتميز بها. وبحث آخر ينصب العمل فيه على دراسة البخلاء في ضوء الظروف التاريخية التي أُنتج فيها، وكيف أثرت هذه الظروف فيه. وبحث ثالث يوازن بين *البخلاء* و *أخبار الحمقى والمغفلين* لابن الجوزي رحمه الله. وبحث رابع يقارن بين *البخلاء* وكتاب *نَبْرِيزْ أُفْ فُلي* (مدح الحماقة) لإرازْمُسْ.[(١)] فكل هؤلاء الباحثين تختلف مشاربهم، ويتبع كل واحد نظرية – نظراً وتفكراً – أو نقدا مختلفا عما يتبعه الآخر، لكنهم جميعا يتبعون منهج بحث واحدا، أي طريقا واحدا في البحث.

وأعود فأقرر أن النظرية آراء ووجهات نظر في أمر من الأمور، أما المنهج فهو طريق واضح لكل باحث في العلم ليصل من خلاله إلى إتمام بحثه وفق منظوره أو نظريته.

وقد يُستشكل هذا الكلام فيقال: إن البنائية كنظرية لها منهج أو لها خطوات وإجراءات مثل تتبع بنية الكلام على مستوى الجملة وعلى مستوى النص، والتفكيكية كنظرية لها منهج كذلك مثل دراسة الثنائيات المتناقضة في النصوص، وكذلك الأمر في نظرية التحليل النفسي وغيرها. إذن فكل نظرية لها منهج. ويرد بأن هذه الأمور التي يُدَّعى كونها منهجا لكل نظرية إنما هي

(١) من رجال الكنيسة والكتاب الساخرين في العصور الوسطى في أوربا (ت. ١٥٣٦)، وكتابه سخرية مما يفعله زملاؤه.

مناهج لدراسة النصوص الأدبية من قصائد وغيرها، وليس للبحث الأدبي. وهناك فرق بين تحليل النصوص والبحث الأدبي، وهو الفرق بين الجزء والكل. فتحليل النصوص ليس كل شيء في البحث الأدبي. فهناك أبحاث ذات صبغة نقدية خالصة كثلاثية حمودة، أو تختلط فيها دراسة النقد بتحليل نص أدبي مثل نمط صعب ونمط مخيف. إذن تحليل النصوص جزء من أجزاء البحث، لكن هناك تحليل آخر لا يقل عمقا ولا وعورة وهو تحليل كلام أهل العلم، تحليل النقد، واستخراج العلم من العلم، والنقد من النقد. الأمر الذي توقف عندنا منذ فترة بعيدة، وصار أكثر النقد (استيراد خارج)، إلا أن نرفع راية التراث. الخلاصة أنه لا يمكن أن نطلق اسم منهج البحث على طرائق تحليل النصوص الأدبية؛ لأن هذا التحليل أحد مكونات البحث، والبحث أكبر من تحليل النص الأدبي. فلا يمكن أن يقوم باحث تخصص أو عالمية بتحليل قصيدة ثم يزعم أن البحث قد انتهى، فلا بد من نقاش وتنظير وتمثيل وأخذ ورد واستنتاج إلى غير ذلك من مكونات البحث العلمي. وبناء على ما سبق يمكن أن نقول منهج البنائية في تحليل النصوص، لكن لا يمكن أن نقول منهج البنائية في البحث؛ لأن البحث العلمي ليس مجرد تحليل لنص. ويمكن أن نقول المنهج الشكلي أو الواقعي أو التاريخي في تحليل النصوص، لكن لا نقول المنهج الشكلي أو الواقعي أو التاريخي في البحث. فإجراء البحث أكبر وأكثر من تحليل النص. يعني منهجُ تحليل النص لا يساوي منهج البحث، بل منهج التحليل جزء من أجزاء منهج البحث.

وهذا الكلام يجعلنا نعيد النظر في قول الكتّاب "المنهج التاريخي" و "المنهج النفسي" و "المنهج الاجتماعي" و "المنهج المتكامل"، وهم يعنون

بذلك مناهج البحث. لأن هذه نظريات نقدية، أو تجميع للنظريات النقدية، أما منهج البحث فلا يتعدد بتعدد النظريات.[١] فنظريات النقد شيء ومنهج

(١) وهذا التفريق بين النظرية والمنهج لا يبدو أنه مما يشغل بال الكتاب كثيرا. فهذا صلاح فضل – كمثال – يساوي بين النظرية والمنهج حينا ويفرق بينهما حينا. ففي عنوان كتابه *نظرية البنائية* نتعلم أن البنائية نظرية، ثم في ثنايا الكتاب يقول مالا يدع مجالا للشك أن البنائية منهج، نحو قوله في أول سطرين من مقدمة الكتاب الأولى "هذا بحث يختلف جد الاختلاف عما يألفه الناس ويأنسون إليه في البحوث الأدبية، لا لأنه يتعرض لأصعب المناهج الحديثة وأدقها وأكثرها جفافا" (صـ١٢)، ويقول أيضا "بالرغم من أننا قد عرضنا في بداية هذا البحث لبعض مظاهر المنهج الشكلي عند المدرسة الروسية كمدخل تاريخي لمولد البنائية إلا أن المنهج البنائي بعد تكوينه ونضجه يختلف جوهريا عن المنهج الشكلي" (صـ ١٣٨)، ويتساءل هل البنائية منهج أم مذهب؟ ثم يرجح كونها منهجا لا مذهبا (صـ ١٣٩). إذن فمن الواضح أن الكاتب يعامل البنائية كمنهج غير أنه سماها في العنوان نظرية، وهذا يشير إلى أن الشيئين متماثلان عنده. ثم يأتي الكاتب نفسه في كتاب لاحق وهو *مناهج النقد المعاصر*، فيعد البنيوية منهجا من المناهج (صـ ٨٥). وفي مقدمة هذا الكتاب ذكر أن المنهج النقدي إما أن يكون عاما مرتبطا بالفكر النقدي في كل العلوم الإنسانية من أدب وتاريخ وجغرافيا ولغة الخ، وإما أن يكون خاصا مرتبطا بالدراسة الأدبية (صـ ١٠-١١)، وهذا الأخير هو مناط البحث في الكتاب. ثم ذكر ما يدل على أنه يفرق بين النظرية والمنهج، حيث قال إن المنهج لابد له من نظرية في الأدب وهي تجيب عن سؤالين عن طبيعة الأدب وعلاقاته، وسبل الإجابة على هذه التساؤلات هي ما يسمى بالمنهج(صـ ١٢)، ومن ثم فالنظرية هي التي توجد أولا ثم يكون المنهج الذي يتبعها ويقيم البرهان التطبيقي على سلامتها وصلاحيتها لفهم الأدب وعلاقاته. ومن هنا فالنظرية هي "المفهوم المعرفي المؤسس للأدب، والمنهج النقدي هو الذي يختبر توافق هذه النظرية مع مبادئها، ويمارس فاعليته، ويتم تداوله عبر جهاز اصطلاحي يحمل قنوات تصوراته ويضمن كيفية انطباقها – قربا أو بعدا – مع الواقع الإبداعي . . . هذه الأطراف الثلاثة – النظرية، المنهج، =

البحث شيء آخر.[1] ومن ثم فما يفعله جل الباحثين من قولهم في مطلع رسائلهم "منهجي بنائي أو نفسي أو أسلوبي أو تفكيكي أو تاريخي" خطأ،

= المصطلح – تمثل منظومة متكاملة تبدأ من الإطار الشامل (النظرية) وتنتهي إلى التقنية المتداولة التي يستعملها أصحاب المنهج في ممارساتهم العملية" (صـ ١٢–١٣). فالمنهج داخل النظرية وهي تشمله وتشمل المنظومة الاصطلاحية. إذن النظرية أسبق وأعم من المنهج. ومع ذلك، فحين يناقش الكاتب التيارات أو المناهج أو النظريات النقدية في فصول مستقلة، يستخدم "المنهج" وليس "النظرية" مع أن النظرية – كما قال – هي الإطار الشامل وهي المفهوم المعرفي المؤسس للأدب، ومنها ينبثق المنهج والمصطلح، فكان الأولى أن يُعَنْوِنَ فصول الكتاب بالنظرية، مثل نظرية البنيوية، نظرية السيميولوجية، نظرية الأسلوبية وهكذا، ولكنه استخدم كلمة "منهج". وتحت كل عنوان من عناوين الفصول يبين أن المنهج الذي يشرحه فيه أكثر من نظرية، فمثلا في فصل "المنهج التاريخي" يبين أنه بدأ مع النظرية الرومانسية ثم تطور مع النظرية الماركسية مع ماركس ، ثم النظرية الماركسية المتطورة مع جورج لوكاش (صـ ٢٥–٢٩–٣١)، وهنا نرى أن المنهج واحد والنظريات متعددة، وهو مالا يتفق مع ما فرق به الكاتب بين مصطلحي النظرية والمنهج في مقدمة كتابه كما مر آنفا. فضلا عن ذلك، فالكاتب بعد أن سمى الماركسية نظرية سماها منهجا في موضع آخر من الكتاب(صـ ٣٢).

ولقائل أن يقول إن الكاتب لا يرى بأسا باستخدام النظرية مكان المنهج والعكس على سبيل المجاز، ولو جاز، فهذا يبتعد بنا عن الأسلوب الدقيق في العلم ولا يساعد القارئ على تعلم الفرق بين المصطلحين في حين أنهما أساسيان في العلم. ومع ذلك، فصلاح فضل له فضل محاولة التمييز بين المنهج والنظرية وإن كانت المحاولة عندي غير ناجحة.

(١) ومن جملة القول نذكر أن الأمم الناطقة بالإنجليزية – وهي التي نتلقف منها ومن جيرانها نظريات النقد – لا تسمي هذه النظريات مناهج بل تسميها نظريات، أو مداخل.

فليس هذا هو منهج البحث، بل هذه نظريات أو مناهج نقدية – مع التشديد على كلمة نقدية – يحاول الباحث إثباتها أو تخطئتها أو أن يستعين بها في تذوق النصوص، وكل هذا يتم من خلال البحث الذي له منهج واضح.

فإذا اكتفى الباحث بتعلم نظريات ومناهج النقد وأهمل أمر منهج البحث لم ينفعه ذلك. لأن النظريات النقدية لا تكفي بل لا تصلح ولا تنفع شيئا حتى يكون عند الباحث منهج في البحث أي منهج في إنتاج المعرفة بغض النظر عن الفرضيات والطرائق الفكرية والنقدية التي يتبعها. وهذا هو المنهج الأوَّلِيُّ الأصيل الذي لا غنى عنه لكل باحث في العلم؛ لأنه يعلم كيف يعمل العقل عملا متقنا على نحو تاريخي أو اجتماعي أو نفسي أو بلاغي أو غير ذلك. ومن ثم فهذا المنهج أو المنهاج هو أهم وأولى بالتعلم من نظريات الفكر النقدي التي سبقت الإشارة إليها—وهذا المنهج أو المنهاج هو ما يستحق أن يطلق عليه "منهج البحث".

ومنهج البحث يتكون من أمور تجيب بمجملها عن سؤالٍ هو كيف يكون البحث وكيف يُصنع؟ وقد سبق كثير من الكتاب إلى بيان الأشياء التي يقوم بها الباحث لينتج بحثا متينا بداية من اختيار الموضوع والشروط الواجب توفرها في الموضوع ووضع الخطة وطريقة الإحالة وكتابة البحث وغير ذلك. وأكثر هذه الكتب يذكر خطوات تكاد تكون ميكانيكية لا عقلية من اختيار الموضوع وجمع المادة وطريقة الدوسيهات أو البطاقات وعمل أبواب وفصول ومباحث، وفهارس الخ. وقد أسهمت هذه الطريقة في علو شأن البحث في أوطاننا كما نرى جليا! لكن أحب أن أكتب شيئا غير هذا يكون وصولا بالإنسان إلى عمل البحث يرقى لمستوى أمةٍ خوطبت أول ما خوطبت بقوله تعالى "اقرأ".

والذي أصفه الآن – إن شاء الله تعالى – هو الأشياء التي يتألف منها منهاج البحث، وهي الأمور العقلية التي يتتبعها الكاتب واحدة واحدة حتى يستوي البحث بين يديه. وهي القراءة، والملاحظة، والسؤال، والقراءة، والتحليل، ثمَّ الرأي والاستدلال، والمقارنة والتعليل، والاستشكال والرد، والتنظير والتمثيل.

أولاً القراءة ١: الكلام عن عمل البحث العلمي يستلزم الكلام عن القراءة أولا وأخيرا. لأن البحث كما ذكرنا هو الوصول مما هو معلوم إلى ما هو مجهول فيصير معلوما، فلابد أن يكون هناك معلوم، وهذا المعلوم يُتحصل عليه من الدرس والقراءة، قراءة المراجع والمصادر وكتب العلم، أو قراءة البيانات المتاحة، أو قراءة معطيات الأمر الذي يبحث فيه. فلا يتصور أن يكون هناك بحث بغير قراءة.(١) وقديما قال العرب "احفظ تقل إن الكلام من الكلام" ولنا أن نستفيد من هذه فنقول "اقرأ تكتب إن الكتابة من الكتابة"، أي أن الكتابة التي تكتبها من الكتابة التي تقرأها.

وقد نميز بين ثلاث مراتب للقراءة، الأولى للاستكشاف والثانية للمعرفة والثالثة للعلم. ففي الأولى يقرأ القارئ ما يقرأ ليُلِمَّ به إلماما سريعا غير متقن، كأنه يريد أن يكتشف موضوعَ الكتاب وأطروحتَه العامة ومكانَه بين الكتب التي تدور في الفلك نفسه. وهذه القراءة سريعةٌ واسعةٌ، فربما يأتي القارئ على أكثر من كتاب في يوم واحد بهذا الأسلوب. فإذا القارئ تعمق تكون قراءة المعرفة، وفيها لا يكتفي الباحث بمعرفة موضوع الكتاب وملامحه

---

(١) وفي هذا بيان لمعجزة الرسول ﷺ حيث نطق بالكتاب المعجز الهادي دون أن يقرأ حرفا واحدا فهو النبي الأمي ما هو بقارئ وإنما يوحي الله إليه، وكذلك أوتي مجامع الكلم بأبي هو وأمي ﷺ.

العامة بل يطلب معرفة نقاشات الكتاب واعتراضاته وموافقاته وأدلته وموقفه من المسألة التي يعرض لها وغير ذلك مما يقوله الكتاب. وهذه القراءة ليست سريعة كالأولى بل فيها ينعم القارئ النظر. فإذا تعمق ودقق وحدق وأمعن النظر تكون قراءة العلم. وتلك قراءة المحققين والنقاد. فيها ينتقل القارئ مما يقوله الكتاب إلى مالا يقوله، ويستشف الكلام، وينظر فيما وراء السطور كما يقولون. فهذه القراءة لا تكتفي بفهم الكتاب ولكن تقوم بالتدبر والتحليل – على ما نبينه بعد إن شاء الله – ومن ثَمَّ تستخرج قراءة العلم من الكتاب مالا تستخرجه القراءتان السابقتان، بل ربما استطاع القارئ المدقق أن يرى في النص مالم يره الكاتب الذي كتبه. وبهذا ينمو العلم ويتكاثر. فهذه قراءة العلم، وقراءة المعرفة، وقراءة الاستكشاف.(١)

---

(١) والكلام هنا يعتمد على التمييز بين المعرفة والعلم من حيث كون المعرفة أشمل وأعم من العلم الذي هو أخص وأدق، خلافا لما يراه العسكري في *الفروق اللغوية*. حيث يقول "المعرفة أخص من العلم، لأنها علم بعين الشيء مفصلا عما سواه، والعلم يكون مجملا ومفصلا . . . فكل معرفة علم، وليس كل علم معرفة، وذلك أن لفظ المعرفة يفيد تمييز المعلوم من غيره، ولفظ العلم لا يفيد ذلك إلا بضرب آخر من التخصيص في ذكر المعلوم" (٦٢، ٦٣). وذكر أنك تقول "علمت زيدا"، فلا تفيد حتى تذكر ما يتميز به عن غيره فتقول "قائما"، لكنك تقول "عرفت زيدا" فتستغني بذلك عن ذكر ما يتميز به عمن سواه. والذي أراه أن العلم هو الخاص المفصل والمعرفة هي العامة المجملة، والدليل على ذلك أن الله تعالى لا يخفى عليه شيء واسمه العليم العلام، ولا يسمى الله تعالى عارفا عريفا، فالعلم أدق وأصدق وأقوى من المعرفة. أما المعرفة فالغالب أن تأتي بمعنى تمييز الشيء عما سواه بسهولة وبغير تدقيق، وهي مع المحسوسات أكثر منها مع المعقولات. أما المعقولات فيأتي فيها العلم أكثر من المعرفة، فهذا عالم بالكتاب وعالم بالسنة وعالم بكذا. ثم نحن نقول فلان عارف بالله ولا يقال عالم بالله؛ فالله تعالى لا يحاط به =

فكثرة القراءة للاستكشاف والمعرفة تجعل القارئ عارفا بما يقال في مجال عمله، ومن ثم يستطيع أن يصنع تصورا للموضوعات التي تتكرر ويكثر اهتمام العلماء بها واختلاف الناس حولها، وكذلك الموضوعات التي نادرا ما يُتَحَدَّثُ عنها، وكونها مهمة أم مهملة.

ثانياً الملاحظة: من أهم أركان البحث في العلم. والملاحظة النظر من جانب العين، فكأن الذي يُرى هنا شيء لا يكاد يرى بوضوح بل يستلزم ليَّ النظر يمينا أو شمالا، كما قال الشاعر:

لحظناهمُ حتى كأن عيوننا بها لَقْوَة من شدة اللحظان(١)

فلابد للقارئ الباحث أن يلاحظ أمورا تخفى عادة، مثل أن يلاحظ علاقة بين أقوال مختلفة في سياقات متنوعة فيراها متوافقة أو متضادة، أو يلاحظ رأيا غير مقنع، أو تكرارا بين مرجعين أو غير ذلك. ثم يكتب ما يلاحظ لأن الملاحظة تضيع إن لم تحفظ. فيسجل ما لاحظه من موافقات أو مخالفات أو جوانب مسكوت عنها أو أشياء لا دليل عليها.

وعندما يقرأ الباحث سيأتي على ما يسترعي انتباهه ومالا يسترعيه، فيعرف ميله وما يريد أن يبحثه. وهذا يتم من خلال الملاحظة ويُنتِجُ الملاحظةَ أيضا. فحين يلاحظ الإنسان شيئا يستهويه يبدأ يلاحظ ما يشبهه حتى تتكون لديه مجموعة من الملاحظات مترابطةً بحيث تؤلف موضوعا قد يتناول بالتحليل والمقارنة والدراسة، وينشأ مثلُ هذا ومثلُه، ثم يختار الباحث من بين هذه المواضيع موضوعا ويُتِم النظرَ فيه إلى أن يلاحظ جانبا

= علما. أما (عرفت زيدا وعلمت زيدا قائما) فيرد عليه بقول الله تعالى "وتعلم الكاذبين"، وتعلم هنا أقوى من تعرف. والله أعلم.

(١) *لسان العرب*، صـ ٤٠٠٨.

غامضا فينتج له سؤال أو أكثر.

وميل الباحث أمر شخصي. فربما كان باحث مغرما بشعر شاعر ولا يحب إلا أن يكتب عنه، وآخر لا يحب إلا أن يكتب عن شيء آخر كَرَّسَ فيه قراءته حتى تجمعت عنده ملاحظات وأسئلة جيدة للبحث. وربما اهتم باحث بالجوانب الفكرية فيميل إلى دراسة النقد والنظريات النقدية. والباحث الذي لا ميل عنده لشيء أبدا فإما أنه غير مهتم بمسألة البحث أصلا، وإما أنه لم يقرأ شيئا يستهويه. والباحث الذي عنده ميل لشيء لكن لا يستطيع أن يقوم به – أو كذلك يقال له – فله أن يبسط هذا الشيء حتى يسطعه أو أن ينظر شيئا آخر يقود إليه أو يدور حوله بشكل ما؛ حتى يتسنى له فيما بعد أن يقوم بما أراد أن يقوم به في البداية إذا كان ذا هِمَّة. وقد يُقترح على الباحث موضوع فيوافق هوى في نفسه. والباحث الذي يفرض عليه موضوع البحث فرضا فهو في تحد إن قبله. وأحيانا ينبغي أن يدرب الباحثُ نفسَه على البحث فيما لا يحب وفيما لا يفيده وفيما لا يهمه، لعله يجد شيئا يتعلق بما يحب وبما يفيده وبما يهمه.

وحينما يعرف الباحث ميله يبدأ يكرس قراءته حول ما يميل إلى البحث فيه. وعلى الباحث أن يتقي شر ميله وهو أن يتخذه تكأة يتكئ عليها فيما يطرح من غير أن يعتمد على دليل ولا على مناقشة. فهذا من سوءات البحث في العلم؛ لأن العلم لا يؤخذ بالتحيزات وإنما يؤخذ بالبرهان والحجة. يقول الله تعالى "ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون" (المؤمنون ١١٧).

ثالثاً السؤال: ركن ركين في البحث العلمي. فالبحث في اللغة طلب الشيء في التراب، فلابد أن يكون هناك شيء يُبحث عنه في التراب. والبحث في

الاصطلاح طلب العلم بالشيء المجهول، فلابد أن يكون هناك شيء يطلب، وهذا المطلوب هو الإجابة عن سؤال يرِدُ على الباحث. فالباحث في التراب يحفر، والباحث في العلم يقرأ ويدقق، والباحث في التراب يستخرج شيئا، والباحث في العلم يستخرج إجابة عن سؤال. ومن هنا يظهر أن مَعْرِفَةَ سُؤَالِ البَحْثِ وتَحْدِيدَه هوَ البِدَايَةُ الفِعْلِيَّةُ للبَحْثِ. بل إن العلماء من سلفنا الصالح قالوا: حسن السؤال نصف العلم.(١) وتعلموا ذلك من حديث سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لما قال أبوه إن رجلا شديد بياض الوجه والثياب جاء يسأل الرسول ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان وأمارات الساعة، والنبي ﷺ يجيب بما يعلم ويقول عما لا يعلم "ما المسئول عنها بأعلم من السائل"، فلما ولى الرجل قال النبي ﷺ "هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم". مع أن أمين الوحي – عليه السلام – لم يقل سوى الأسئلة، لكن الرسول ﷺ نسب التعليم إليه، فلولا السؤال لم يكن الجواب ولم يكن العلم. فحسن السؤال نصف العلم.

وأحيانا يعبر الناس عن سؤال البحث بمشكلة البحث باعتبار أن المشكلة أمر يُشْكِل ولا يستبين إلا بعد لأي، وطلب حل هذا الإشكال هو هو ما مضى من طلب الإجابة عن السؤال.

وأفضل السؤال ما كان بكيف أو بلِمَ. لأنهما تقتضيان مناقشة وتبيينا، بخلاف من وأين ومتى وهل مثلا حيث تكون الإجابة عنهم في الظاهر محدودة ولا تقتضي غير ذكر شخص أو تاريخ أو مكان أو قول نعم أو لا. وبالمثال يتضح المقال:

---

(١) ابن حجر العسقلاني، *فتح الباري بشرح صحيح البخاري*، جـ ٢، صـ ١٥٦.

ما أنواع الاستعارة في آداب الأمم المختلفة؟

كيف تعددت أنواع الاستعارة في آداب الأمم المختلفة؟

هذان السؤالان متقاربان إلا أن الأول يسأل بما والثاني يسأل بكيف. فمن يجيب عن السؤال الأول يكفيه أن يقول في البلاغة العربية سبعة أنواع وفي البلاغة الفارسية أربعة وفي البلاغة الصينية عشر وفي كذا كذا، ويسمي كل نوع ويعرف به، وبهذا تتم الإجابة. لكن من يجيب عن السؤال الثاني لا يكفيه أن يذكر الأنواع وتعريف كل نوع حتى يُبَيِّنَ الطريقة التي صار بها للاستعارة أربعة أنواع في الفارسية وعشر في الصينية وسبعة في العربية. فلا بد أن أوضح وأشرح الكيفية التي حدث بها هذا التنوع هنا ولم يحدث هناك وحدث هنالك. وهذا الأمر يقتضي التعمق في فهم كل هذه الأنواع والولوج إلى العقلية التي منها صدرت وبها تعددت، ثم تحليل هذا الاختلاف. ومن ثم فالسؤال الثاني أدعى إلى النقاش والتحليل والدراسة من السؤال الأول الذي هو الأسهل.(١)

وهناك أمر ينبغي الالتفات إليه عند وضع سؤال البحث وهو أن يكون السؤال له قطب يدور حوله أو أُسٌّ يقوم عليه، لنُسَمِّه أُمَّ السؤال. فأمُّ السؤال هو المصطلح أو الشيء الذي ينصب عليه اهتمام الباحث، والذي من أجله يكون السؤال. ولذا لابد أن يُعرِّف الباحثُ هذا المصطلح تعريفا شافيا في

(١) وقد استفدت هذا من محاضرات الشيخ إبراهيم الخولي، ولم أسمعه من غيره، فوجب أن أنسبه إليه. فمن بركة العلم نسبته لأهله.

أول البحث حتى يفهم هو والقارئ السؤال حق فهمه. ومثال ذلك في السؤال السابق كلمة "استعارة". وفائدة الاهتمام بأم السؤال وقطبه أن ذلك يجعل الباحث يعرف همه الرئيس من بحثه، ولا تخطئه عينه إذا ما نظر إلى سؤاله.

ومن المهم أيضا أن يكون السؤال – سؤال البحث – سؤالا كبيرا يمكن أن تتفرع منه أسئلة أخرى. أعني أن تصاغ أسئلة على هامش سؤال البحث الكبير وتؤدي في النهاية إلى الإجابة عنه. فمثلا سؤال البحث الذي سبق: كيف تعددت أنواع الاستعارة في آداب الأمم المختلفة؟ تتفرع منه الأسئلة الآتية:- ما أبرز الآداب التي أنتجت خطابا بلاغيا يتناول موضوع الاستعارة؟ من أبرز الذين تحدثوا عن الاستعارة في هذه الآداب؟ كيف يتشابه حديثهم أو يختلف؟ لماذا تشابه كلام هذا أو هؤلاء مع كلام هذا أو هؤلاء واختلف حديث هذا أو هؤلاء مع حديث هذا أو هؤلاء؟ ما أنواع الاستعارة في البلاغة الإنجليزية؟ ما أنواع الاستعارة في البلاغة الهندية؟ ما أنواع الاستعارة في البلاغة الإغريقية؟ ما أنواع الاستعارة في البلاغة العربية؟ ما أنواع الاستعارة في البلاغة الفارسية؟ وهكذا. وربما كانت هذه الأسئلة الفرعية عونا للباحث على عمل خطة بحثه بحيث يكون كل سؤال فصلا أو بابا مثلا. ومن ثم يصبح وضع سؤال البحث الكبير وتحديد أُمِّه شيئا رئيسا في صنع البحث العلمي.

وهاكم نماذج لأسئلة كتب مختارة؛ كي نرى كيف يصاغ سؤال البحث ويتمحور حول مصطلح أم:

– ما مصادر عبد القاهر وكيف استخرج منها علمه؟ في *مدخل إلى كتابي عبد القاهر* يطرح الشيخ محمد أبو موسى سؤالا مركبا من ما وكيف.

وإذا تأملنا وجدنا أن الثانية أشد طلبا للبحث من الأولى؛ فمعرفة مصادر عبد القاهر تظهر من ذكره للذين أخذ عنهم كالجاحظ؛ أو بمعرفة أصول المسائل والنقاشات التي يطرحها في تراث أهل العلم، لكن معرفة كيف استخرج عبد القاهر أطروحاته البلاغية من هذه المصادر شيء آخر يستلزم تحليلَ كلام الرجل وتتبعَ طرائق تفكيره ونقاشه وأخذه ورده إلى آخر هذه العمليات الكامنة وراء السطور؛ ولأجل هذا يحتاج الأمر إلى إمعان النظر والاستبطان والاستنباط. والكلمة الأم في هذا السؤال هي "استخرج" – هكذا أرى – لأنها هي التي عليها مدار البحث. فهذه الألف والسين والتاء تعكس طلب عبد القاهر علمه في الكتب والمصادر، وتعكس العملية العقلية والفكر العميق الذي أنتجه، وهو جوهر ما يبحث عنه الكاتب. وقد يرى آخر أن أم السؤال هي كلمة "مصادر" أو "علمه". لكن الناظر إلى كلمة "استخرج" يجدها تحتوي على "مصادر" و "علمه" لزوما.

– أي حداثة نعني؟ *المرايا المحدبة*. هل قدمت البلاغة العربية نظرية لغوية أدبية؟ هل من بديل لفكر الحداثة الغربية؟ *المرايا المقعرة*. ما مواقف المذاهب النقدية المختلفة من سلطة النص الأدبي؟ كيف نحدد معالم نظرية عربية نقدية بديلة؟ *الخروج من التيه*، الثلاثة لعبد العزيز حمودة.

– كيف كان أبو العلاء ناقدا أدبيا؟ *أبو العلاء الناقد الأدبي* للسعيد عبادة.[(١)]

---

(١) وقد فرع الكاتب من هذا السؤال أسئلة وجعل كل سؤال بابا على النحو الآتي: ما مدى أهلية المعري للنقد وقدرته عليه وطبيعة ذوقه فيه؟ ما مدى نشاط المعري النقدي في مصادره؟ ما مدى العلاقة بين ذوق الناقد وطبع الأديب في أبي العلاء؟ ما مدى تعريف السابقين بنقد أبي العلاء؟

– كيف كان التأصيل النظري لمفهوم الشعر – مهمته وماهيته وأداته – في التراث النقدي؟ *مفهوم الشعر* لجابر عصفور.

وبعض الكتب لا يصرح كتابها بالسؤال، ويعسر على القارئ استخلاصه مثل كتاب: *الشعر الجاهلي دراسة في منازع الشعراء* لأبي موسى. وقد أظن أن سؤاله: كيف نفهم الشعر الجاهلي من الشعر الجاهلي نفسه مثلما فعل السابقون من النقاد؟

وهذا الأسلوب مفيد للكاتب والقارئ. فأما إفادته للكاتب فقد سبق الحديث عنها، وأما إفادته للقارئ فإنه حين يطالع المقدمة ينظر السؤال الكبير الذي تقوم حوله الدراسة وينظر أُمَّ السؤال ليتعرف على غاية الكتاب ووجهته. فإذا تبين له أن البحث لا يجيب عن السؤال الذي طرحه الكاتب في مقدمته أو يجيب عن سؤال آخر كان هذا موطن نقد وعيب في البحث. ومن ثم فالكاتب الذي يبحث لابد أن يسعى بجد إلى ألا ينفلت منه السؤال الكبير في نقاشه فيصبح الكلام في واد والسؤال في واد آخر بلا جواب.

حينما يَتِمُّ للباحث وضعُ السؤال فقد عرف شيئا هاما وهو: ماذا يريد؟ فهو يريد إجابة السؤال الذي وضعه. وهذا السؤال (ماذا أُريد) لابد أن يواجهه الباحث قبل أن ينخرط في قراءة العلم والتحليل وما بعد ذلك من كتابة البحث. فيحدث نفسه بما يريد فعله، كأنه يُعَرِّفُ نفسه بمحطة الوصول التي يبغيها، حتى إذا وصل إليها عرف أنه قد تم له ما أراد. وهذا يجعل الباحث أثناء بحثه – الذي قد يطول سنة أو أكثر – يسير في نور، ويصوب بصره نحو شيء معين لا يخطئه، ومن ثم لن تكون هناك فرصة للتشتت والضلال عن هدف البحث وغايته. والتشتت من آفات البحث في العلم؛ لأن العلم بحاره ممتدة، فمن سار بغير هداية فسيضل الطريق.

وحتى لا يضل الباحث الطريق إلى غايته، لابد بعد أن يسأل نفسه ماذا أريد، أن يسأل نفسه: كيف أصنع ما أريد؟ ما المطلوب عمله حتى يتحقق ما أريد؟ والإجابة تكون بوضع الخطوات التي بها يكون ما يريد. فالمراد أن يُحَدِّث الباحث نفسه بما يلزم عمله واحد، اثنان، ثلاثة . . . هذه هي الخطوات التي بانتهائها ينتهي البحث. وغالبا تشكِّل هذه الخطوات أجزاء البحث الكبيرة أي الأبواب أو الفصول أو المباحث.

فمثلا الباحث وضع سؤالا: كيف كان التشعيث في قصيدة عنترة بن شداد؟ ثم سأل ما الذي أعمله حتى أجيب على هذا السؤال؟ قد يقول مثلا: أبدأ بشرح نظرية التشعيث، ثم تقديم قصيدة عنترة، ثم أطبق ما بينته في شرح نظرية التشعيث على قصيدة عنترة. وبهذا ينتهي البحث.

أو آخر يسأل: كيف تناول النقد العربي والنقد الأردي مسألة اللفظ والمعنى؟ ثم يسأل ما المطلوب عمله؟ فيقول أبدأ بشرح ما أعنيه بمسألة اللفظ والمعنى أولاً، ثم أعرف بالمصادر التي تحدثت عنه هنا وهناك ثانياً، ثم أشرح هذه وأشرح تلك ثالثاً، وأخيراً أقارن وأقابل، وبهذا ينتهي البحث.

ويبدأ الباحث بالخطوة الأولى (التي ربما تكون الفصل الأول) فيوفيها حقها من البحث حتى ينتهي منها بالكتابة والتصنيف، ثم يبدأ في الخطوة التي بعدها، وهكذا حتى يتم عمل الخطوات التي رسمها الباحث لنفسه. وتقسيم العمل إلى خطوات يسهل على الباحث أن يحيط ببحثه، لا سيما إذا كان بحثا كبيرا ككتاب أو رسالة جامعية. فحينئذٍ يكون عمل البحث وكتابته أسهل وأسرع وأضبط؛ لأن الباحث يعرف ماذا يريد، وماذا يفعل، ويسير على بينةٍ لا بشكل عشوائي.

وبعض الأبحاث تكون مقيدة بوقت. والوقت أمر خطير. فربما أراد

الباحث أن يصنع بحثه من خمسة فصول، وكلامه مقنع وفكرته جيدة وكل شيء تمام. لكن ليس أمامه إلا عام واحد. فيدرك أنه بحاجة إلى إعادة تنظيم بحثه وتقسيم المطلوب عمله في ضوء الوقت المتاح. وربما يضطره هذا إلى حذف قسم أو أكثر حتى يستطيع أن يعمل ما هو مطلوبٌ منه. وهذا مثال بسيط لعمل بحث في مرحلة العالمية خلال عام. فلو فرضنا أننا الآن في رمضان ١٤٣٧، وأمامي عام حتى أكمل البحث، فتكون خطتي كالتالي:

وعمل هذا الجدول يكون بعد أن تَبَيَّنَ الباحثُ خطة بحثه، يعني أقسامه الرئيسية من أبواب أو فصول، فحينئذ يُقَسِّم هذه الأجزاء على الوقت المتاح له. مثلا في المثال السابق يكون لكل فصل ثلاثة أشهر، وللمراجعة شهران (على الأقل)، ولقراءة المناقشين شهر. لابد أن يكون هذا الجدول أمامي وأنا أكتب، ودائما أنظر أين أنا في الكتابة وأين أنا في الجدول، فأعرف إذا كنت متأخرا أم متقدما. والواجب أن أسعى للانتهاء من كل مرحلة قبل موعدها

بأسبوع مثلا لربما ظهر شيء يعطلني أو يقتضي تغييرا كبيرا. لا تدري. عموما، كلما كان هناك تنظيم، كان عمل البحث أيسر وأضبط. لا شك في هذا.

فالآن عرف الباحث سؤال البحث (أي ماذا يريد)، وعرف خطواته (أي ما المطلوب عمله)، وعرف وقته. فيسمّي الله، ويمسح النوم عن عينيه، ويبدأ في الشغل البحثي العميق.

رابعاً القراءة ٢: ليست القراءة ههنا كالقراءة التي سبقت، فتلك قراءة الاستكشاف والمعرفة، أما هذه فقراءة العلم. والمقروء ههنا أقل من المقروء من قبل، لكن القراءة أعمق وأدق. فبعد أن قرأ الباحث كثيرا في المرحلة الأولى ولاحظ ووضع سؤالا سيقتصر هنا على الكتب والمباحث التي تتعلق بسؤاله وموضوع بحثه فقط. ولذا فالقراءة التي للعلم قراءة موجهة نحو أمر بعينه كالضوء المسلط على شيء أو كالعدسة المكبرة التي تظهر خبايا الشيء. وقد سبق الحديث عن سمات هذه القراءة وأنها قراءة المحققين والنقاد. وجوهر هذه القراءة التحليل.

خامساً التحليل: من أسير الكلمات على الألسن. لكن قليلا ما يُتأمل أمر التحليل. وأكثر ما يذكر التحليل في الطب، ففيه قسم التحاليل. والذي يعمل تحليلا طبيا يعطي الطبيب عينة من الدم مثلا، فيقوم بفرز العناصر، ثم قياس نسبة كل عنصر، ثم يكتب تقريرا عن النتيجة بأن نسبة كل عنصر طبيعية أو أن بعض العناصر نسبتها أكثر أو أقل من الطبيعي. فالتحليل يفرق العناصر المجتمعة ويصف حال كل عنصر. وتحليل النصوص فرز عناصر النص بعد أن كانت مؤلفة ثم نقد كل عنصر. فليس التحليل الطبي من تحليل النصوص ببعيد. وهذه النصوص قد تكون كلاما علميا وقد تكون

نصوصا أدبية. وكما أشرنا سابقا، فتحليل النصوص الأدبية له طرائق تشرحها البلاغة والنظريات النقدية كالتشعيث والبنائية وغير ذلك، وليس هذا ما نشغل به هنا، وإنما نعنى هنا بتحليل كلام أهل العلم.

وأصل "التحليل" من حَلِّ العقدة. تقول العرب "يا حابل اذكر حلا" يعني يا من تعقد الحبل لا تبالغ في عقده واذكر حين تحله.(١)

و(تَحْلِيل) تفعيل للتكثير، وأصله (حَلٌّ) فَعْلٌ. و(حَلَّل) (يُحَلِّل) فَعَّل يُفَعِّل، وأصلهما (حَلَّ) و(يحُلُّ).

حَلَّ يحُلُّ حَلٌّ العقدة

حَلَّل يُحَلِّل تَحْلِيلٌ الكلام، التربة، الدم الخ.

فالذي نراه من زيادة المبنى في السطر الثاني لابد أن يكون له صدى في المعنى، فكأن تحليل الكلام المؤلف وتحليل الدم يحتاج إلى عمل أكثر من حل العقدة في الحبل. فزادت حروف السطر الثاني على حروف السطر الأول، لزيادة العمل في السطر الثاني على العمل في السطر الأول.(٢)

فالتحليل تفريق مؤلف، وفك متشابك، وإفراد مجموع، وحل معقود. فهو عكس التأليف. فالذي يؤلف كتابا يجمع الألفاظ والمعاني والأفكار والمعلومات والآراء ثم يؤلف بينهم، فيأتي المحلل يميز كل عنصر ويدرسه ويختبره. فالمؤلف يؤلف بين أمور مختلفة، والمحلل يفرق بين أمور مؤلفة، كالتي تنقض الغزل من بعد قوة.

---

(١) *لسان العرب*، صـ ٩٧٦.

(٢) ومثل هذا يقال في خَرَج خروج، وخَرَّج تخريج، وأخرج إخراج، واستخرج استخراج، وعَلِم عِلْم، وعلَّم تعليم، وأعلم إعلام، واستعلم استعلام.

وهذا الفهم لأمر التحليل – وأنه عكس التأليف – يجعلنا ندرك مهمة المؤلف ومهمة المحلل، فهما يسيران في اتجاهين متعاكسين، واحد يؤلف والآخر يفرق. فالكاتب جمع كتابه من مصادر مختلفة منها فكره وعقله ومنها ما كتب الآخرون قبله، فقام بتحليل المراجع، ثم فكر وعقل واستنبط، وأخيرا كتب نتاج كل هذا في بحثه. إذن فالباحث يبدأ محللا وينتهي مؤلفا. يبدأ بتحليل ما كُتِب وأُلِّف، ثم يؤلف ذلك مرة أخرى بعد أن غذاه بفكره ونظره. إذن البحث يبدأ بالتحليل وينتهي بالكتابة، ثم يأتي باحث آخر فيحلل البحث الأول ثم يؤلف بحثه، ثم يأتي باحث ثالث فيحلل البحثين الأولين ثم يؤلف بحثه، ثم يأتي رابع فيحلل الأبحاث السابقة ثم يؤلف بحثه، وهكذا. وبهذا ينمو العلم وتكثر المعرفة.

ولنضع تصورا أو تعريفا للتحليل كمصطلح علمي لعملية يقوم بها الباحثون، فنقول:

> التحليل: أن تفهم المقدمات التي رتب عليها الكاتب نتائج وكيف رتب، وأن تفهم المسلمات التي اعتمد عليها الكاتب، وأن تعرف المصادر التي اعتمد عليها الكاتب وكيف اعتمد، وأن تفهم السياق العلمي والمجتمعي والثقافي وغير ذلك من السياقات التي فيها كتب الكاتب ما كتب وأثرَها على ما كتب، وأن تفهم الأسلوب الذي كتب به الكاتب ما كتب وزعم ما زعم.

فالتحليل يكون بتفهم هذه الأشياء، وهذا التفهم أعمق من مجرد فهم أطروحة الكاتب وآرائه. إذ التحليل فهم عميق وبعيد لأشياء ليست مكتوبة بل

هي أشياء خبيئة وراء المكتوب. فالكاتب لا يقول هذه مقدمة أبني عليها تلك النتائج، ولا يقول عن كل شيء ذكره من أين جاءه – إلا أن يحيل – ولا يقول أثر السياق البيئي والعلمي على ما كتب، ولا يشرح الطريقة التي اتبعها في بناء رؤيته وزعمه. إنما القارئ المدقق هو الذي يستطيع الوصول إلى هذه الأشياء من خلال ما كتب الكاتب.

وهذا الكلام قريب من كلام عبد الوهاب المسيري – رحمه الله تعالى – عن منهج البحث، حيث يرى أن من خطوات المنهج الذي ينبغي أن يتبعه الباحثون:

> أن يدرك الباحث أن الوصف المتعمق والتصنيف الدقيق يجب أن يتجاوزا المضمون الواضح والمباشر ليصلا إلى النموذج المعرفي الكامن في النص والذي يتخطى كلا من المضمون والشكل بالمعنى السطحي، ليصل إلى النقطة التي يكاد يصبح فيها المضمون شكلا والشكل مضمونا.(١)

والنموذج المعرفي يعني العقلية التي تكمن وراء السطور والمعاني الأول. بمعنى آخر: يجب على الباحث أن ينتقل من فهم الشكل والمضمون الظاهر المباشر الذي يقدمه المؤلف إلى فهم طريقة التفكير التي تنضح بهذا الكلام شكلا ومضمونا. ومعنى قوله "يكاد يصبح المضمون شكلا والشكل مضمونا" أن الشكل الذي هو الكلمات المكتوبة يُنتَقل منه إلى المضمون الذي هو المعاني، هكذا يفعل القراء. لكن الباحث الجيد يجعل هذا المضمون نفسه كأنه شكل يدل على مضمون آخر خبيء وهو العقلية والنموذج المعرفي الذي يعتمد عليه المؤلف ومنه ينطلق. فالآن صار المضمون شكلا

(١) عبد الوهاب المسيري، *الثقافة والمنهج*، صـ٢٥٤.

لمضمون آخر عند القارئ المدقق، بينما ظل هو المضمون النهائي عند القارئ غير المدقق.

ولكي يستطيع الباحث الوصول إلى هذا القدر من الفهم عليه أن يحلل الكلام تحليلا، فينظر في المقدمات والنتائج المترتبة عليها، ويُقَوِّمَ هذا الترتب من حيث الإقناع. فربما كانت المقدمة لا تسلم إلى النتيجة تسليما مقنعا. ومن ثم يكون هذا موطن نقد. فمثلا لو قلنا "شوقي ولد في قصر الخديوي، في رغد وغنى وترف، وتعلم اللغات، ودرس الحقوق في الغرب، فاكتسب موهبة الشعر، وأصبح أمير الشعراء في العصر الحديث". فالكلام هنا عبارة عن سبب أي مقدمة ونتيجة نتجت عنها. لكن المقدمة لا تسلم بالضرورة إلى النتيجة؛ لأن العيش في رغد وغنى وتعلم اللغات والسفر إلى الغرب لا يقود الإنسان بالضرورة إلى أن يصبح شاعرا مجيدا. لكن لو قلنا "شوقي ولد في قصر الخديوي، وروى الشعر العربي، وتأثر بالبارودي، وشجعه الخديوي على قرض الشعر، ولما سافر إلى الغرب قرأ الأدب العالمي، فاكتسب موهبة الشعر، وأصبح أمير الشعراء في العصر الحديث"، لصارت المقدمة تسلم إلى النتيجة بشكل مقنع. فلينظر المحلل فيما يقرأ من مقدمات ونتائج ويعرضها على عقله؛ فإن وجدها غير مقنعة نقدها وبَيَّن خطلها.

ثم ينظر المحلل في المُسَلَّمات التي ينطلق منها المؤلف، وهل هي مسلمات أم لا. والمُسَلَّمَة أمر مهم في تحليل الكلام ونقده، لأن كل أطروحة ورأي يبنى على مُسَلَّمَة، وهي أمر يسلم الكاتب بصحته وصدقه من دون مناقشة، وينطلق يبنى آراءه ونقاشاته وهو معتمد على صحة هذا الأمر. مثل الإيمان بالغيب وبالقرآن والسنة عند كل مُسْلِم؛ ولهذا يبني الفقهاء المكرمون أراءهم ونقاشاتهم انطلاقا من صحة وصدق القرآن والسنة، فهذا أمر مسلم

به. وعدم الإيمان بالغيب أمر مسلم به عند الملحدين، ومن ثم فهم ينطلقون في نقاشاتهم الفلسفية من هذه المسلمة التي هي عندهم لا تحتاج إلى نقاش.

وكون كل بحث قائما على التسليم بأشياء – مسلمات – يستند إلى أن كل بحث يُبنى على بحث أو أبحاث أخرى لا يناقش الباحث أطروحاتها ولا نتائجها، ولكن ينطلق مما استقر فيها ليناقش موضوعه هو. تأويل هذا أننا إن قلنا إن الكتابة من القراءة وإن الباحث يقرأ ويقرأ ويقرأ ثم يكتب، يقرأ كثيرا ثم يكتب قليلا، دل هذا على أن الباحث لا يكتب في كل ما قرأ ولا أكثره، ولكن يكتب في شيء مما قرأ. هذا الشيء حين كان يُكتب ويُبحث ينطبق عليه الكلام نفسه أي أنه كُتب واستُخْرِج من خلال أبحاث أخرى سبقته، وهذه الأبحاث الأخرى التي سبقته ينطبق عليها الكلام نفسه أيضا، وهكذا إلى حيث يعلم الله العليم بكل شيء. والباحث الأخير لا يكتب ولا يعيد النقاش والنتائج التي اصطنعها الباحث الذي سبقه والذي سبقه، ولكن يبنى على ما أسسوا وأثبتوا وينطلق من حيث انتهوا. وأحياناً يكون هذا الأساس المبني عليه شائعا عند الباحثين فلا يحتاج الباحث أن يحيل على مرجع فيه، لأنه أمر مسلم به أو يكاد يكون. وهذه هي المسلمة أو المسلمات التي يعتمد عليها الباحث. بمعنى آخر: قد ينقد النقاد الباحث في بحثه فيسألونه عن نقاشه واستدلاله الخ، ولكن قد يسألونه عن أشياء هو لم يناقشها ولم يُحِلْ فيها على أحد وإنما اعتمد عليها تسليما بها، فهذه هي المسلمة.

مثل من يدرس شيئا من الشعر الحر دراسة فنية، فهو يسلم بأن الكلام الذي لا قافية له ولا تستوي أبياته على قواعد العروض غير أنه منظوم على تفعيلاتٍ شعرٌ. وهذا أمر قام باحثون بنقاشه وطرحه وتأسيسه من قبل. ومثل تسليم تمام حسان في كتابه القيم *الأصول* بأمر تاريخي إذ يقول:

لقد كان مما أخذه العرب عن السريان طريقة شرح المتون، وكانت الطريقة السريانية تعتمد على إقحام الشرح بين كلمات المتن وعلى شرح الكلمات المفردة وما يتعلق بها من أفكار فرعية وإيضاح لمدلولاتها دون اللجوء إلى شرح الهياكل العامة لأفكار المتن ونظراته الشاملة.(١)

فهذا أمر لا يسوق الكاتب دليلا عليه وإنما يتخذه دليلا على أشياء أخرى، إذن فهو عند تمام حسان شيء مسلم به. ومن يدرس بلاغة النبي ﷺ يسلم بما انتهى إليه الباحثون في الحديث – رضي الله عنهم –من صحة نسبة الأحاديث المروية عنه ﷺ، وهذا أمر بذلت فيه جهود بحثية فريدة في تاريخ الإنسانية. وأقوى المسلمات العقائدية والدينية ثم المسلمات التاريخية.

والحق أن أغلب المصنفات تنطلق من مسلمات حتى لو لم يذكرها المصنف صراحة. فالذي يدرس شاعرا دراسة نفسية، لا شك أنه يسلم بمبادئ ربما لا يذكرها مثل أن النص مرآة لنفسية قائله، أو أن الأدب مرآة المجتمع عند من يدرسه دراسة اجتماعية. على كل حال، معرفة المسلمة التي يتوكؤاْ عليها الكاتب تُفيد المحللَ الناقدَ فقهَ ينبوعِ نظرِ الكاتبِ ومصدرِ أطروحتِه؛ ومن ثَمَّ يستطيع المحللُ إذا وجد الكاتبَ يعتمد على شيء لا يصح الاعتماد عليه – أي يسلم بشيء غير مسلم به – يستطيع حينئذ أن ينفذ إلى ثغرة في الكلام ينقده ويبين الخطأ من الصواب. لأن الكاتب إذا سلم بشيء غير مسلم به واعتمد عليه في بناء نظريته ورأيه، كان ذلك الرأي مردودا عليه بأن أساسه غير مقبول أصلا. فما بني على خطأ فهو خطأ.

ومثال هذا في "الرسالة الشافية" للإمام عبد القاهر الجرجاني، حيث

(١) تمام حسان، *الأصول*، صـ ١٠.

يقول:

واعلم أن ههنا بابا من التلبيس أنت تجده يدور في أنفس قوم من الأشقياء، وتراهم يومئون إليه، ويهمسون به، ويستهوون الغرَّ الغبي بذكره وهو قولهم: ((قد جرت العادة بأن يبقى في الزمان من يفوت أهلَه حتى يسلموا له، وحتى لا يطمع أحد في مداناته، وحتى ليقع الإجماع منهم أنه الفرد الذي لا يُنازَع. ثم يذكرون امرأ القيس والشعراء الذين قدموا على من كان معهم في أعصارهم، وربما ذكروا الجاحظ وكلَّ مذكورٍ بأنه كان أفضل من كان في عصره، ولهم في هذا الباب خبط وتخليط لا إلى غاية. وهي نفثة نفثها الشيطان فيهم، وإنما أُتُوا من سوء تدبرهم لما يسمعون، وتسرعهم إلى الاعتراض قبل تمام العلم بالدليل. وذلك أن الشرط في المزية الناقضة للعادة، أن يبلغ الأمر فيها إلى حيث يبهر ويقهر، حتى تنقطع الأطماع عن المعارضة، وتخرس الألسن عن دعوى المداناة . . . وليت شعري، من هذا الذي سَلَّم لهم أنه كان في وقت من الأوقات من بلغ أمره في المزية وفي العلو على أهل زمانه هذا المبلغ، وانتهى إلى هذا الحد؟ إن قيل امرؤ القيس، فقد كان في وقته من يباريه ويماتنه، بل لا يتحاشى أن يدعي الفضل عليه.[1]

فقد رفض عبد القاهر – رحمه الله تعالى – قول هؤلاء الناس لأنه بُنِيَ على أمر مسلم به عندهم بينما هو عند غيرهم خطأ لا يسلم به أبدا، وهو كون امرئ القيس وأمثاله قد فضلوا على غيرهم من الشعراء تفضيلا مطلقا لا راد

(١) "الرسالة الشافية" *دلائل الإعجاز*، صـ٥٩٠ ، ٥٩١.

له. فلما كانت المسلمة خاطئة كان الرأي المبني عليها والمنطلق منها مردودا.

أضف إلى ذلك أن معرفة مسلمة الكاتب قد تُبَيِّنُ تعارض رأيه مع شيء قد سلَّم به من قبل. ووجدت مثالا لذلك عند عبد القاهر أيضا – وهو أستاذ في الحِجاج خصوصا في *دلائل الإعجاز* – فيقول:

> وكيف لا يكون في إسار الأُخَذَة، ومحولا بينه وبين الفكرة من يسَلِّم أن الفصاحة لا تكون في أفراد الكلمات، وأنها إنما تكون فيها إذا ضم بعضها إلى بعض، ثم لا يعلم أن ذلك يقتضي أن تكون وصفا لها، من أجل معانيها، لا من أجل أنفسها، ومن حيث هي ألفاظ ونطق لسان؟[١]

ووجه الكلام أنه ينكر على المعتزلة تناقض رأيهم في الفصاحة مع ما يسلمون به. فهم يسلمون أن الفصاحة تنشأ من ترابط الكلمات بعضها ببعض في الجمل، لكنهم يرون أن الفصاحة وصف للألفاظ وليس لمعاني الألفاظ، وهذا يتضارب مع ما يسلمون به من أن الفصاحة لا تنشأ إلا عندما تترابط الألفاظ في الكلام فيكون لها معان مؤلفة. فعبد القاهر استخدم مسلمة المعتزلة لدحض رأيهم في هذه المسألة.

إذن من الأمور التي ينبغي على المحلل الناقد أن يحرص على فهمها في الكلام الذي يحلله المسلماتُ التي منها ينطلق الكاتب يبني آراءه. ويسأل هل ما سلم به الكاتب مسلم به حقا؟ ثم هل ما سلم به الكاتب يتفق مع ما يقوله؟

---

(١) *دلائل الإعجاز*، صـ ٤٦٦.

كذلك من الأمور التي يجب أن يأخذها المحلل الناقد بعين الاعتبار مصادر الكلام الذي يحلله. وفي العصر الحالي أصبح هذا أمرا سهلا؛ لأن الكتاب يلتزمون ذكر مصادرهم ومراجعهم بالتفصيل، لكن في كتب التراث الأمر ليس سهلا؛ لأنهم لا يفعلون كما نفعل، ولكن قد يلمحون ويشيرون إلى شيوخهم الذين أخذوا العلم عنهم، ويبقى على الباحث المدقق أن يكشف مصادر علمهم، وهذا يحتاج إلى سعة اطلاع على متون العلم، وخبرة بمسائله.

وبعد معرفة هذه المصادر يأتي دور المحلل في تَبَيُّنِ طبيعتها. فمثلا ينظر هل كلها قديمة ليس من بينها مراجعُ حديثةٌ، أم العكس، أم أنها تجمع بين القديم والحديث؟ وكل حالة من هذه الحالات لابد أن يفسرها المحلل ويستنبط علاقة هذا الأمر بما كتب المؤلف. فربما تعني الحالة الأولى أن المؤلف لا يأبه لما كتب المحدثون في موضوعه، بل يستخرج كلامه وآراءه من كلام القدماء فقط، أما الحالة الثانية فقد تعني أن نقاش الكاتب لا يتعلق بالتراث كثيرا أو أنه لا يتطرق إلى التراث إلا من خلال كتابات المحدثين، وأما الحالة الثالثة فهي متوازنة بين الحالتين السابقتين. وربما تكون هناك تفسيرات أخرى لهذه الملاحظات، المهم أن يتأمل الباحث طبيعةَ المصادر وسببَ مجيئها على الوجه الذي جاءت عليه.

وكذلك ينظر المحلل هل المصادر والمراجع كلها أجنبية أم كلها عربية أم ماذا؟ هل تنتمي كلها إلى مدرسة أو مذهب بعينه أم تتنوع مذاهبها ومدراسها؟ يجيب المحلل عن هذه الأسئلة، ثم يتأول الإجابة ويستخرج منها ما يستدل به على رأيه في توجه الكاتب أو ميوله أو تميزه أو قصوره أو غير ذلك. ومع ذلك، فليحرص المحلل على ألا ينخدع فيحكم على صبغة الكتاب

من خلال النظر إلى مراجعه فقط، فربما تكون مصادر كتاب تنتمي إلى مدرسة معينة، فيظن الباحث المحلل أن الكاتب منحاز إلى هذه المدرسة، بينما هو في الحقيقة ينقد هذه المدرسة ولذا يكثر من الرجوع إلى مراجعها!

وهاكم بعض الأمثلة على أهمية النظر والتأمل في مصادر النص الذي يحلله الباحث. ففي خضم المعركة التي أثارها كتاب طه حسين – غفر الله له – *في الشعر الجاهلي* قام كثير من النقاد بالرد عليه مثل الرافعي والغمراوي والشيخ محمد الخضر حسين ومحمد فريد وجدي. لكن تميز ردُّ شكيب أرسلان – الذي جاء كمقدمة لكتاب الغمراوي – وردُّ الشيخ محمد الخضر حسين بأنهما رصدا أن طه حسين نقل كلامه وأطروحته من مرجليوث فيما يعد إغارة وسرقة فكرية. يقول الشيخ محمد الخضر حسين "فالمؤلف أغار على نظرية الشك في الشعر الجاهلي، ولم يفترق عن مرغليوث إلا في تسليمه بأن هناك شعرا جاهليا".[(١)]

ويقول شكيب أرسلان:

> وليس طه حسين في هذا الرأي الفائل[(٢)] والمنطق المقلوب إلا مقلدا لمرغليوث أو لغيره من الأوربيين بسائق عقيدة سخيفة فاشية... قلت إني لا ألوم الدكتور طه حسين الذي قصاراه أن يسرق رأيا لمستشرق أوربي خالف فيه جمهور المستشرقين فضلا عن علماء العرب، وأن ينتحل هذا الرأي لنفسه متبجحا

---

(١) محمد الخضر حسين، *نقض كتاب في الشعر الجاهلي* ، صـ١٧ .

(٢) أي الضعيف.

به كما ألوم نظارة المعارف المصرية.[1]

والشاهد أنهما – رحمهما الله – استنبطا هذا الكلام على الرغم من أن طه حسين – رحمه الله – لم يشر في كتابه إلى مرجليوث أبدا، فلما عرفا ذلك سهل عليهم نقدُ الكتاب ونقضُه وبيانُ قلةِ حظه من العلم والصدق. كل هذا إضافة إلى عملهما في الرد عليه. وإنما توصلا إلى هذا من خلال سعة اطلاعهما وبحثهما العميق. وهكذا ينبغي أن يكون كل باحث.

وكذلك قد يلاحظ باحث أن كتب الشيخ محمد أبي موسى تتميز بقلة ورود المراجع الحديثة فيها، فجل المراجع فيها تراثية خصوصا في *مدخل إلى كتابي عبد القاهر*، *دلائل التراكيب*، *خصائص التراكيب*، *دراسة في الشعر والبلاغة*. وقد يعيب البعض هذا من حيث إنه يهمل نتاج الباحثين المحدثين في هذه الموضوعات، وقد لا يعيب البعض هذا باعتبار أن طول خبرة المؤلف وتفليته نصوص التراث تكفيه ملء جعبته فيملي من نظره المباشر في النصوص، ولا يلتفت إلى ما كتب معاصروه إلا قليلا.

من ناحية أخرى ينبغي على المحلل أن يتأمل طريقة إفادة الكتاب من مراجعهم. فينظر هل كلما ذكر الكاتب مرجعا اقتبس منه أم يكتفي بذكر ورود الشيء فيه، وهل يعلق بعد الاقتباس أم يسكت؟ وهذا الأمر قد يتميز به الكاتبُ المتمكن من الكاتبِ المتسرع غير المتمكن؛ فبعض الكتاب يكثر من نقل النصوص والشواهد والاقتباسات ولا يعلق عليها بأي شيء، بل بعدما ينتهي النص المنقول يكمل الكاتب ما كان بدأه كأنه جاء بهذا النص لمجرد أن يثبته في كلامه وليس أكثر. إن الواجب عند نقل جزء من كلام آخر أن يعلق الناقل على ما نقل لا أن يتركه بدون تعليق. فكثرة النقولات التي لا

(١) شكيب أرسلان، *الشعر الجاهلي أمنحول أم صحيح النسبة*، صـ ١٤ – ٧٣.

يعقبها أي تعليق علامة سلبية.

ثم يتأمل المحلل السياق الثقافي والعلمي والاجتماعي والسياسي وغير ذلك من السياقات التي أحاطت بالكاتب وكيف أثرت فيما كتب. أهمية هذه الخطوة التحليلية هي أن نفس الكاتب يفترض أنها تتأثر بما حولها من الأمور المعنوية كالثقافة العامة، ومن الأمور المادية كالمجتمع. وغالبا سينطبع هذا على الكتابة بشكل ما، ربما من حيث التوجه الفكري، أو السياسي، أو من حيث رقي أو انحطاط اللغة، أو قل – بلغة النقاد – من حيث الشكل والمضمون.

وفي المثل العامي نقول "كل وقت وله أذانه"، فلو جعلنا الأذان بمعنى الكلام (كل وقت وله كلامه) لكان الوقت وما يحدث فيه مؤثرا في الكلام الذي يقال فيه. ومن ثَمَّ فلابد على الدارس لهذا الكلام أو الخطاب أن يعتبر بالوقت والبيئة التي خرج منها. والمثال الأبرز على هذا تلون الشعر العربي بألوان مختلفة في العصور المختلفة. ففي العصر الجاهلي نجد ألفاظا ومعاني وخيالات بدوية صحراوية، فهذا الطلل عفا ودرس، وهذه الناقة عذافرة تنفي يداها الحصى، وهذا الحمار جون السراة أكل الجميم وطاوعته سمحج، وهذا الثور شبب أفزَّته الكلاب مروع، وهذه القوس قذوف من فرع ضالة لا يداوى رميها، وهذا الضيف مستنبح بعد الهدوء. بينما نجد في الشعر الأندلسي أن النهر أشهى ورودا من سمى الحسناء متعطف مثل السوار كأنه والزهر يكنفه مجر سماء، والزهرة مائسة يذوي لها ريق الغمامة فضة، وقضيب البان يعنيه الهوى وغزال القفر يصبيه الغزل، والحجفل جم اللغات مجمع بين الفصيح لسانه والأعجم. وهكذا تختلف الأذواق بين البيئات وعبر الأزمان. بل حتى في البيئة الواحدة يتنوع سمت الكلام كما تميز أسلوب

الشعراء الصعاليك من بين الشعراء الجاهليين.[١]

وليس الأمر محصورا في الشعر. فالبيئة تؤثر على الكتابة بوجه عام. ومثال ذلك موجود في النقد الأدبي. فحازم القرطاجني – رحمه الله تعالى – كتب في *منهاج البلغاء وسراج الأدباء* الأمور التي يتبعها الشعراء ليحرزوا البلاغة في قريضهم. ومن ذلك تحقيق التناسب في المباني والمعاني. وبين حازم أن هذا أمرٌ مكتَسَبٌ، فلابد أن يتعلمه الشاعر. وبعد حازم بنحو أربعة قرون تناول رُومَن جاكُبْسُن الأمور التي تحقق الشعرية في الشعر، ومن ذلك التوازي الشكلي والمعنوي. وبين رومَنُ أن هذا أمر مركوز في طبيعة الشعر لا يحتاج الشاعر إلى تعلمه، فمتى وُجِد الشعر وجِدَ التوازي ضرورة.[٢] وهناك تشابه بَيِّنٌ بين تناسبِ حازم وتوازي رُومَن، لكن الفرق أن حازمَ جعل الأمر مكتسبا ورُومَنَ جعله جِبِلَّة. ومن أسباب هذا السياقُ الاجتماعي والثقافي الذي أحاط بهذا وذاك. فحازم عاصر سقوط الدولة الإسلامية العربية في الأندلس، وكانت ألسن الشعراء لانت والحالة الثقافية متواضعة، فأراد أن يضع للشعراء منهاجا يسيرون عليه وسراجا يستضيئون به. أما رومَن فلم تكن عنده هذه الشفقة على الشعراء بل كان يدرس الشعر وما فيه لإبراز جمالياته وخصائصه. فالبيئة إذن جعلت هذا يُعَلِّم، وجعلت ذاك يصف فقط.

وقد رأيت فائدة أخرى تنتج عن الالتفات إلى البيئة التي أحاطت بالكاتب لما قرأت ما كتب مالك بن نبي– رحمه الله – وهو يقابل بين قصة *حي بن يقظان* لابن طفيل وقصة *روبنسن كروزو* لدانْيَل ديفو. كان مالك يتحدث عن

---

(١) يوسف خليف، *الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي*.

(٢) رومن جاكبسن، *لَنْجُوِيتْش إن لِتِرتْشَر*.

نوعين من الثقافة، الأول ثقافة أفكار والثاني ثقافة أشياء، أو قل ثقافة عقل وروح وثقافة مادة وحس. ففي النوع الأول تتركز الأشياء حول الفكرة، بينما في النوع الثاني تتركز الأفكار حول شيء.(١) فجعل الثقافة الإسلامية من النمط الأول وجعل الثقافة الغربية الحديثة من النوع الثاني. ثم جعل قصة حي بن يقظان نموذجا لثقافة الأفكار حيث إن حيًّا بدأ حياته خاليا من كل فكرة، لا يعرف غير الغزالة التي كانت بمثابة أمه، فلما هلكت بدأ يفكر في حالها وكيف أصبحت بلا حركة، وشيئا فشيئا بدأ حي يتفكر ويتأمل طوال سنين عمره – وحده في الجزيرة – حتى توصل من خلال التجارب والتأملات في العالم من حوله إلى فكرة وجود الخالق الواحد الأحد. فهنا جعل حيٌّ الأشياء من حوله كالحيوان والنجوم والسماء والماء والليل والنهار مسخرة وموجهة نحو فكرة ما، ألا وهي الإيمان بالله تعالى. وعلى العكس من ذلك كان روبنسن أثناء عزلته في الجزيرة مهتما بإقامة حياة مادية لنفسه من خلال صنع الآلات وصيد الحيوانات ونشر لغته ودينه بين الذين التقى بهم على الجزيرة. فكانت حياته موجهة نحو إقامة حضارة مادية استعمارية كما عبر مالك بن نبي.(٢)

إذن فالسياق التاريخي والاجتماعي والثقافي والبيئة تؤثر على ما كتب الكاتب. والمحلل الكيس الفطن هو الذي يكشف عن هذا الأثر ويعرف به، ثم يستفيد من ذلك في فهم وفقه الكتاب الذي يقرأه.

---

(١) ومعنى هذا أن ثقافة الأفكار تجعل الأشياء المادية في العالم موجهة ومسخرة لخدمة فكرة ما كالعدل والإيمان، لكن ثقافة الأشياء تجعل الأفكار موجهة ومسخرة لخدمة شيء ما كالمال.

(٢) *مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي*، صـ ٢٢:١٩.

كذلك من مهمات التحليل أن يفهم الباحث الطريقة التي يتبعها الكاتب في كتابته، أي أسلوب الكاتب سرديا كان أو نقاشيا أو تصويريا أو غير ذلك. فبعض الكتب تكون مكتوبة بلغة مملة، لا تخاطب القارئ من قريب ولا من بعيد، بل تسرد المعلومات وكأنها نشرة أخبار. وبعض الكتب تتمتع بأسلوب جذاب يثير القارئ ويخاطبه ويتفاعل معه. فهاتان طريقتان متباينتان. بعض الكتاب ترى الجملة عندهم تطول حتى قد تصل إلى نصف صفحة، بينما لا تزيد الجملة على بضع كلمات عند كاتب آخر. فهاتان طريقتان متباينتان. بعض الكتَّاب أسلوبه تراثي وبعضهم أسلوبه حداثي كما يظهر من كثرة استخدام الكلمات المعربة مثل سسيولوجية، سيكولوجية، فيلولوجية. فهاتان طريقتان متباينتان. وهلم جرا. والغرض من ملاحظة هذا الأمر أثناء التحليل أن أسلوب الكتابة يعكس أسلوب الفكر، وهذا شيء آخر غير الأفكار. وحين أعرف طبع الكلام أعرف صفته وأكون أقدر على استظهار معانيه وأكثر توقعا لما يقوله الكِتَاب.

ولو طبقنا هذا على كاتبين عالمين في اللغة العربية وهما الشيخ محمد أبو موسى والشيخ السعيد عبادة، لوجدنا فرقا واضحا بين أسلوبيهما. فأبو موسى أسلوبه عملي حار، وهمه الثقافي وعاطفته لا يَدَعانه يخفيهما أبدا، فهو يسترسل في الكلام، ويشبه كلامه المكتوب كلامه المنطوق من حيث التتابع والألفاظ والتعبيرات التي يستخدمها. لكن أسلوب السعيد عبادة علمي حاد، لا تفور فيه عاطفته، بل هو يكتب الكلام بحساب وبدون استرسال إلا قليلا. وكلا الكاتبين ينتسبان لمدرسة واحدة وهما من جيل واحد، لكن كل له أسلوبه، وكلٌّ يفيدُ وكلٌّ يعلِّم.[1] فإذا عرفت هذا وأكثر أستطيع أن أستشف

(١) حبذا لو أتحفنا باحث جاد بدراسة أساليب النقاد في كتابتهم قديما وحديثا.

منه السبيل العقلي الذي يتميز به هذا الكاتب، ومن ثمَّ أكون أكثر علما به وبكلامه.

أي أنه إذا عرف المحلل الأفكار وأسلوب الفكر الذي أنتج هذه الأفكار فقد أصبح عالما وفقيها بالكتاب الذي بين يديه وأهلا لنقده والبناء عليه. وبهذا يتم له التحليل ويصبح معدًّا ليقول برأي ويدلل عليه، ويقارن ويعلل، ويستشكل ويرد.

وربما استعان الباحث بقراءة فهم الآخرين للكلام الذي يحلله. فكتب التراث كُتِبَ عنها كثيرا، وكذلك الكتب المشهورة المعاصرة شُرِحَت أو تنولت عند غير باحث، فليرجع الباحث إلى ما كتبه الناس عن الشيء الذي يحلله ويستفيد من ذلك.

ذلك هو تحليل الكلام العلمي. وعلى الباحث أن يصحبه القلم أثناء التحليل. فكلما توصل إلى شيء يكتبه ويلخصه إما على حاشية الكتاب وإما على أوراق مستقلة أو غير ذلك. المهم أن يسجل الباحث ما نتج عن قراءته المدققة الفاحصة كي لا يضيع جهده. لا بد أن يسجل ما فَهِمَ، وكيف فهم ما فهم، وكيف استخرج ما استخرج.

وكذلك يكتب كل ما عمله منذ مرحلة القراءة الأولى حتى مرحلة التحليل. فيكتب الباحث بيانا مفصلا عن كل ما توصل إليه من ملاحظة وسؤال وتحليل. ويبين العلاقة بين ما توصل إليه من تحليل وبين فكرته وسؤاله. لأن التحليل ونتيجته يجب أن يكونا في خدمة السؤال سؤال البحث. وهذا التلخيص يجعل المعلومات التي استفادها حاضرة أمامه مكتوبة يعرف مكانها ومكنونها، وكيف تتعلق بسؤاله. فمثلا يكتب أن الكاتب فلانا بدأ كتابه بكذا ثم تناول فلانا وقال كذا واعترض واستدل بكذا واعتمد على مسلمةٍ وهي

كذا ونحو ذلك. فهذا رصد وتلخيص لعملية التحليل.

سادساً الرأي والاستدلال: إذا خلا البحث من رأي للباحث فهو بحث ناقص، فمثله كمثل الحاسوب يجمع ويفرز، ولا رأي إذ لا عقل. وكيف يكون البحث بلا رأي؟ والبحث مبني على سؤال – بكيف أو بلم – وفيه تحليل لكلام الآخرين. والبحث بلا رأي يسمى تقريرا أو تلخيصا أو توصيفا. لكن البحث المنسوب إلى العلم ينبغي أن يشتمل على رأي الباحث وموقفه مما علم.

والرأي مصدر رأى يرى، والله تعالى يقول "يرونهم مثليهم رأي العين" (آل عمران ١٣). ورأي العين شأنه التحقق والتثبت واليقين حتى قالوا (ليس من رأى كمن سمع). وهذا هو الرأي في الأمور المادية، فإذا استعملنا كلمة "الرأي" في الأمور العقلية فإننا ننزل عمل العقل منزلة عمل العين أي نجعل الفكر كالبصر، ونجعل ما يقتنع العقل به مساويا لما تراه العين من حيث التحقق والتثبت. وهنا نعلم إكرام العربية للعقل والفكر والاقتناع، فإنها جعلت ذلك طريقا للإثبات والحقيقة والتصديق كما يكون النظر والبصر ورأي العين طريقا لذلك. وكان ترك الفكر وترك العقل عمى، والله تعالى يقول "فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور" (الحج ٤٦).

إذن الباحث لابد أن يكون له رأي فيما يذكر من أقوال الآخرين وفيما ينقل وفيما يقرأ. وليس الرأي قبولا ورفضا فقط، فمعرفة مصادر الكلام الخبيئة رأي، ومعرفة أسلوب الكلام وطبعه رأي، وتحليل السياق العلمي والتاريخي وغيره من السياقات رأي، ومعرفة مدى صحة تسليم المقدمات للنتائج رأي، وتبيين معنى الكلام الغامض رأي. أي أن التحليل الذي يقوم الباحث به يعتبر رأيا يراه الباحث في الكلام الذي يقرأه. وينبغي أن يعبر الباحث عن هذه التحليلات التي توصل إليها بفكره وعقله. وتعبيره عنها تعبير عن رأيه

(أي تعبير عما يراه بعقله). ولهذا لا يتصور أن يكون البحث خاليا من رأي للباحث، وإلا كان البحث خاليا من التحليل، وإذا خلا البحث من التحليل فقد خلا البحث من البحث.

وإذا بنى الكاتب كل فصل على سؤال متفرع من سؤال البحث الكبير، يكون له في كل فصل رأي يتمثل في الإجابة عن هذا السؤال المتفرع. ثم تكون إجابة الباحث عن سؤال البحث الكبير، وهي تمثل الرأي الذي يطرحه الباحث في موضوع بحثه.

فرأي الباحث إذن جزء من أجزاء البحث، ولا بد أن يكون بارزا كل حين. والتعبير عن الرأي يمكن أن يكون بأشكال مختلفة مثل قول: أنا أرى، رأيي كذا، أميل إلى، أُرَجِّحُ، لا شك أن، والحق أن، أقطع بكذا، ويبدو أن، وربما. وبعض الناس لا يحب أن يستخدم الباحث ضمير جماعة المتكلمين نحن أو نا للتعبير عن نفسه أبدا، ولا ضمير المتكلم المفرد.(١) وأظن أن الصواب أن يستخدم الباحث ضمير المفرد دون ضمير الجماعة؛ فلا وجه لقول نحن بدلا من أنا إلا إرادة التفخيم، أما ضمير المتكلم المفرد فهو الأصل في تعبير المتكلم عن نفسه.

والرأي يحتاج إلى دليل. وقد يتقدم الدليل أو يتأخر، لكن لابد أن يوجد ويؤدي بالمتلقي إلى الاقتناع برأي الكاتب. والدليل إما نقلي وإما عقلي وإما تذوقي. فالنقلي يكون بحكاية نص مأخوذ من كلام غير الباحث. وقد يكون هذا النص من الكتاب أو السنة أو من كلام الناس. وأخذ كلام الآخرين ونقله كما هو للاستشهاد به أو عليه يسمى اقتباسا. والدليل النقلي (الاقتباس) لا بد من التعليق بعده بشرح أو بيان؛ إذ لا ينبغي أن ينقل الباحث كلاما لغيره ثم

(١) عبد الوهاب أبو سليمان، *كتابة البحث العلمي صياغة جديدة*، صـ ٢٠٥.

يتركه بدون تعليق منه، وينتقل إلى حديث آخر. لابد أن يعلق على ما ينقل ولو تعليقا موجزا بحيث يعلم القارئ لِمَ نقل الباحث ما نقل، وإلا يفعل يظن القارئ أن الباحث ينقل لمجرد النقل أو تكثير الصفحات أو غير ذلك من الأمور التي لا تليق بالعلم.

وعلى الرغم من ذلك، فأحيانا يحب الكاتب أن ينقل نصا ويتركه بدون تعليق عليه، استفزازا واستنفارا لتفكير القارئ. كأن الكاتب يقول للقارئ افهم أنت. وهذا أسلوبٌ لا يحسن كثيرا إلا حينما يكون الأمر واضحا وضوحا لا لبس فيه، ولا يشك الكاتب أن القارئ سيستطيع أن يدرك مغزى اقتباس النص المنقول والاستشهاد به. ومثل ذلك تجده في ذكري للآية السابقة من سورة الحج "فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور".

وأحيانا أخرى لا يعلق الكاتب على النص الذي ينقله لاستحيائه من ذلك حين يكون الكاتب قد رفض شيئا وقال بعكسه، وهذا الشيء المرفوض يقول به عالم ذو شأن كبير في العلم. فيستحي الكاتب من التعليق على كلامه بأنه خطأ، بل يورده ويكتفي بما سبق ذكره مما يدل على أنه خطأ. وقد وقع هذا في كتاب *المطوَّل* للتفتازاني، حين كان يتكلم عن طرق القصر، ومنها العطف، ومنها إنما. وقال التفتازاني إن "إنما" تأتي لقصر الإفراد وتأتي لقصر القلب، كما هو الحال في القصر بالعطف بلا وبل. ثم نقل التفتازاني عن عبد القاهر الجرجاني أنه يرى خلاف ذلك، أي أن العطف بلا والقصر بإنما يستعملان لقصر القلب دون الإفراد، ونقل نص عبد القاهر ثم لم يعلق عليه بشيء، ومضى يشرح أمرا آخر.[١] وعلق الشيخ أبو موسى[٢] بأن هذا

---

(١) سعد الدين التفتازاني، *المطوَّل*، صـ ٣٨٩، ٣٩٠.

(٢) في درسه الأسبوعي في الجامع الأزهر.

من أدب العلماء. وهذا من سعة تصرف العلماء في فنون الكتابة، ولا بأس به أبدا طالما أن المعنى واضح، فالأدب في الانتقاد أمر لازم.

وحينما ينقل الباحث شيئا من كلام غيره لابد أن يبين أنه ليس من كلامه هو، والطريقة المتبعة هي أن يضع هذا الكلام بين علامتين هكذا " ". فإذا كان النص المنقول قصيرا كُتِبَ داخل الأسطر، أما إذا كان أطول من ثلاثة أسطر فحينئذ ينبغي أن يُجْعَلَ فقرة وحده كما يجد القارئ في هذا البحث. الأهم من هذا أن يلتزم الباحث بنص الكاتب، وإن غيَّر شيئا فيه فليقل غَيَّرت أو بتصرف، حتى لو كتب بعض الألفاظ المنقولة بحبر ثقيل لزيادة العناية بها فليقل مثلا "التظليل من عندي" كما كان يفعل عبد العزيز حمودة في كتبه. وإذا أراد أن يضيف شيئا للنص المنقول فليضعه بين هاتين العلامتين [ ].

أما تلخيص كلام الآخر في البحث فلا يستلزم وضع علامتي الاقتباس، بل يكتب الباحث التلخيص، ثم يحيل على أصل الكلام في مصدره.

وهناك طرائق مختلفة للإحالة على المراجع في أثناء البحث. الطريقة المنتشرة أن يكتب في الهامش أسفل الصفحة اسم الكاتب واسم الكتاب ورقم الصفحة. وهناك من يكتب الإحالة بعد أن ينتهي من الاقتباس أو التلخيص في المتن نفسه، فيفتح قوسين ويكتب رقما يشير إلى رقم المرجع في ثَبَتِ المراجع آخر الكتاب، ثم يكتب رقم الصفحة التي يحيل عليها. وقد اصطنع هذه الطريقة صلاح فضل في كتابة *علم الأسلوب*. وهناك طريقة أخرى تتمثل في فتح قوسين بعد موطن الاقتباس أو التلخيص ويُكتب لقب المؤلف متبوعا برقم الصفحة، ثم يُكتب في قائمة المراجع لقبُ المؤلف (الذي ذكر عند الإحالة) وبعده بيانات كتابه، فإذا كان لكاتب واحد كتابان أو أكثر

محال عليهما، أتبع لقب الكاتب بأول كلمة أو كلمتين من اسم مُصَنَّفه عند الإحالة بين القوسين. وإذا كان لكتاب واحد أكثر من مؤلِّف، يُكتب بعد لقب الأول "وآخرون" عند الإحالة بين القوسين، ثم تذكر أسماؤهم بالتفصيل في ثبت المراجع. وهناك تفصيلات أكثر لهذه الطرائق ولغيرها من طرق الإحالة.(١) والجامعات في الغرب تجعل لها نظاما في الإحالة وقائمة المراجع يلتزم به المنتسبون إليها التزاما مقننا. وفي برنامج الورد – الذي يكتب به الباحثون بحوثهم على الحاسوب – تطبيق مباشر لعمل الهوامش والإحالات وقائمة المراجع طبقًا لاثني عشر نظاما متبعا في الغرب. وشرح كل هذه الأنظمة موجود على الشبكة العنكبوتية.

إذن عند إيراد دليل نقلي لابد من الإحالة على مرجعه فيكون الكلام موثقا.

أمَّا الدليل العقلي فلا يكون فيه نقل وإنما يكون فيه حجاج بالمنطق. ومثال ذلك قول عبد القاهر الجرجاني يذكر رأيه في أن الفصاحة صفة للفظ حين يقترن بالمعنى، وليس للفظ في نفسه:

> هذا فن من الاستدلال لطيف على بطلان أن تكون الفصاحة صفة للفظ من حيث هو لفظ. لا تخلو الفصاحة من أن تكون صفة في اللفظ محسوسة تدرك بالسمع، أو تكون صفة فيه معقولة تعرف بالقلب. فمحال أن تكون صفة في اللفظ

---

(١) انظر عبد الوهاب أبو سليمان، *كتابة البحث العلمي صياغة جديدة*. مهدي فضل الله، *أصول كتابة البحث العلمي*. أحمد شلبي، *كيف تكتب بحثا أو رسالة*. شوقي ضيف، *البحث الأدبي*. وهذا الأخير عقد مقارنة بين نظام الهوامش والحواشي القديم، وهو أمر يسترعي الانتباه.

محسوسة، لأنها لو كانت كذلك، لكان ينبغي أن يستوي السامعون للفظ الفصيح في العلم بكونه فصيحا. وإذا بطل أن تكون محسوسة، وجب الحكم ضرورة بأنها صفة معقولة. وإذا وجب الحكم بكونها صفة معقولة، فإنا لا نعرف للفظ صفة يكون طريق معرفتها العقل دون الحس، إلا دلالته على معنى. وإذا كان كذلك، لزم منه العلم بأن وصفنا اللفظ بالفصاحة وصف له من جهة معناه، لا من جهة نفسه.(١)

فهنا دليل عقلي ساقه المؤلف ليقنع القارئ برأيه في المسألة التي يناقشها. وانظر إلى قوله "استدلال لطيف" وهو يوحي بأن عمل الاستدلال يحتاج لفطنة وذكاء وإدراك لكيفية اقتناع العقول بالحجة. وفي هذا الاستدلال افترض عبد القاهر احتمالين لا ثالث لهما، ثم أثبت استحالة واحد منهما، إذن لم يبق إلا الاحتمال الآخر، وهو ما يؤدي إلى رأي الكاتب ضرورة.

إذن المراد من الدليل العقلي أن يقنع قارئه. ولكي يكون مقنعا لابد أن يكون منطقيا وألا يتعارض مع دليل آخر نقلي أو عقلي.

وأما الدليل التذوقي – إن كان لنا أن نسميه – فهو من قبيل الدليل العقلي أيضا لكنه يعتمد على الحجاج بالذوق لا بالمنطق. ومثله مثل استحسان بعض النقاد لكلمة "مستشزرات" التي وردت عند امرئ القيس،(٢) وتقبيح بعضهم للكلمة نفسها. فالذين استحسنوها رأوا في صوتها المعقد تناسبا مع المعنى المراد وهو كثافة الشعر وعظمه، والذين لم يستحسنوها

---

(١) *دلائل الإعجاز*، صـ ٤٠٧.

(٢) كان الدكتور فوزي غنام يتبنى هذا الرأي وهو يدرس لنا البلاغة في كلية اللغة العربية.

اعتمدوا على تنافر أصواتها. فهما كمن يذوق طعاما فيقول هو حلو، ويذوقه آخر فيكرهه. فالذوق هو الفيصل في هذا النوع من النقاش. ومن ذلك أيضا المثال الآتي:

> وأنا رأيت أبا عمرو الشيباني وقد بلغ من استجادته لهذين البيتين ونحن في المسجد يوم الجمعة، أن كلف رجلا حتى أحضره دواة وقرطاسا حتى كتبهما له. وأنا أزعم أن صاحب هذين البيتين لا يقول شعرا أبدا. ولولا أن أدخل في الحكم بعض الفتك لزعمت أن ابنه لا يقول شعرا أبدا، وهما قوله:
>
> **لا تحسبن الموت موت البلي فإنما الموت سؤال الرجال**
>
> **كلاهما موت ولكن ذا أفظع من ذاك لذلِّ السؤال**[1]

فأبو عمرو استحسن هذين البيتين اعتمادا على ذوقه الذي يفضل المعنى الصادق الحكيم. والجاحظ ذاق البيتين فلم يجد لهما حلاوة، وبَيَّنَ بعد ذلك أن الشأن في الشعر ليس للمعاني وإنما للفظ والتصوير والنسج. فكلامه أيضا يعتمد على الذوق. والذوق أصل من أصول النقد الأدبي.

ومما يتفق عليه العقلاء أن الدليل التذوقي إنما يعمل في استحسان أو استهجان النصوص الأدبية وليس ينبني عليه قاعدة إلا إذا التحق به تعليل. ففي المثال السابق أبو عمرو استحسن البيتين بذوقه اعتمادا على إعجابه بالأخلاق والحكمة، أما الجاحظ فاستهجن البيتين بذوقه اعتمادا على قصره جمال الشعر على لفظه لا معناه. المهم أن كل واحد منهما صدر عن ذوقه المعتمد على علة للاستحسان أو الاستهجان. ومن ثم فالواجب ألا يأتي

---

(١) الجاحظ، *الحيوان*، جـ٣، صـ١٣١.

الذوق منفردا انفرادا تاما بالإعجاب أو ضده، بل ينبغي أن يعتمد على علة أخرى. وإن كان المرء أحيانا يعجبه الشيء وهو لا يدري لذلك علة غير أن نفسه تستطيبه وتعلق به.(١)

وهناك نوع آخر من الأدلة وهو ما يتعلق بالإحصاء والبيانات الكَمِّيَّة. وهذا النوع من البيانات ليس مما يستخدم عادة في الدراسات اللغوية والأدبية. إلا أنه في القرن المنصرم بدأ قليل من النقاد يستخدمون هذا النوع كما نرى عند سعد مصلوح.(٢)

وحاليا أصبح بعض الباحثين يستخدمون برامج على الحاسوب للقيام بإحصاءات نوعية في النصوص التي يدرسونها، ويتخذون من نتائج هذه الإحصاءات أدلة يستشهدون بها. (٣)

وقد نعدد أنواعا أخرى للأدلة كالأدلة التاريخية أو الحسابية. المهم هو أن يشفع الباحث رأيه بالاستدلال ليحدث الاقتناع بما يقول.

سابعاً المقارنة والتعليل: كلمة المقارنة تحتاج إلى إعادة نظر؛ لأننا نفهمها غالبا بمعنى النظر إلى أشياء مختلفة ورصد الاختلافات والتشابهات بينهم. ومن هنا كان الأدب المقارن مثلا. والحق أن المقارنة لا تعني إلا جمع وضم شيئين متشابهين فأكثر، فهي من قَرَن يقرن أي جمع. وعلى النقيض تكون كلمة المقابلة، ومعناها التمييز بين أشياء مختلفة. فالمقارنة تنصب على أوجه الشبه، والمقابلة تنصب على أوجه الاختلاف. لكننا نتساهل ونستخدم

---

(١) القاضي الجرجاني، *الوساطة بين المتنبي وخصومه*، صـ ٤١٢.

(٢) انظر سعد مصلوح، *في النص الأدبي*، و *الأسلوب دراسة لغوية إحصائية*.

(٣) إن شاء الله تعالى يتبع هذا البحث ببحث عن التحليل الإحصائي الحاسوبي.

المقارنة لكلا المعنيين الجمع والتمييز.[1]

على كل حال، المقارنة والمقابلة بين النصوص أو بين الظواهر العلمية قلما يخلو منها بحث علمي. فالآراء تختلف وتتشابه سواء علم أصحابها ذلك أم لم يعلموا. فإذا وجد الباحث مثل هذا فعليه أولاً أن يبين هذا التشابه والاختلاف، وثانياً أن يعلل. وتبيين أوجه الشبه والاختلاف مهم، خصوصا حينما يكون ثمة تشابه واختلاف في الوقت نفسه. ثم بعد ذلك يُعَلِّل لِمَ تشابه هذا مع هذا؟ ولِمَ اختلف هذا مع ذاك؟ وهذا أمر قد يغمض أحيانا وقد يسهل أحيانا.

وأهمية التعليل بعد المقارنة والمقابلة هي أن رصد الشبه والاختلاف أمر يدركه كل قارئ إلا من يقرأ بدون تدقيق. لكن إدراك سبب الشبه وسبب الاختلاف يتطلب قراءة ما ليس مكتوبا. فربما كان السبب هو تشابه أو اختلاف البيئة التي خرج منها الرأيان أو اختلاف مذاهب أصحاب الآراء المختلفة. وهذا كله من عمل الباحث الصادق الذي يأبى إلا أن يتقن عمله. فكل مقارنة ومقابلة لابد أن يعقبها تعليل.

ومن أمثلة المقارنة والتعليل ما ذكرناه قبل من أمر التناسب عند حازم القرطاجني والتوازي عند رُومَن جاكُبْسُن، وأن الاختلاف بينهما نابع من السياق المجتمعي لدى هذا وذاك. ومرَّ بنا مثال آخر لمَّا نقلنا المقابلة التي عملها مالك بن نبي بين قصة حي *بن يقظان* وقصة *روبِنْسُن كروزو*، وردَّه الاختلاف بينهما إلى طبيعة الثقافة الإسلامية التي صدر منها ابن طفيل وطبيعة الثقافة الغربية التي صدر منها دانيَل ديفو.

---

(١) وأحيانا تستخدم المقابلة بمعنى الجمع والتمييز أيضا كما في اللسانيات التقابلية، والبلاغة التقابلية.

وأحيانا لا يكون تعليل المقارنة والمقابلة مهما لدى الكاتب، بل يكون المهم عنده بيان السابق والمسبوق، والتابع والمتبوع. وقد صنع هذا كثيرون ممن أخذوا على عواتقهم إثبات سبق نتاج الحضارة العربية في بعض مجالات العلم الحضارةَ الغربيةَ الحديثةَ. فمثلا عبد العزيز حمودة يبين أن ما حفلت به كتب النقد البنائي عند الغربيين من الحديث عن المحور الاستبدالي والمحور التعاقبي موجود مثله في تراث العرب عند الجاحظ والخطابي والباقلاني وعبد القاهر وغيرهم.(١) والواضح من حديث الكاتب أنه غير مهتم بتعليل التشابه بين كلام النقاد العرب والنقاد الغربيين، بل:

> كل ما أردنا إثباته بهذه الوقفات المطولة والنماذج العديدة أن كل معطيات علم اللغة كما طوره سوسير لم تكن فتحا جديدا، وكان يجب ألا تكون كذلك، بالنسبة للمثقف العربي لو أنه في حماسه للتحديث وانبهاره بمنجزات العقل الغربي لم يتجاهل تراثه العربي.(٢)

فبعد مقارنة وشرح واف عَقَّبَ الكاتب بإثبات أن العرب سبقوا الغرب في هذا الأمر، من دون أن يبين سبب تشابه ما قاله هؤلاء وهؤلاء رغم اختلاف أزمانهم. وقد أجاد عبد العزيز أيَّمَا إجادة، ولو كان زاد تعليلا لما رصده من تشابه لكان خيرا.

ثامناً الاستشكال والرد: كلمة استشكل معناها طلب مشكلة، وطلب المشاكل أمر سيء، لكن في العلم يكون محمودا أحيانا إذا كان غرضه حل الإشكال القائم بالفعل، حيث تكون المعاني غوامض تحتاج إلى من يوضحها ويزيل

(١) *المرايا المقعرة*، صـ ٢٤٧ : ٢٥٧.

(٢) السابق، صـ ٢٥٧.

الإشكال. وقد استفدت هذا المصطلح من كلام العلماء، فهم كانوا يقولون هذا، فيقول ابن حجر في *فتح الباري* "وقد استشكل ابن بطال مناسبة حديث الباب لترجمة الذي قبله بعد أن تقرر أن الباب إذا كان بلا ترجمة يكون كالفصل من الذي قبله" فهو يعني أن ابن بطال وجد إشكالاً في هذا الأمر، فأعمل عقله حتى يحل هذا الإشكال ثم "أجاب باحتمال أن يكون أشار إلى أن الذي يفعل بالمريض بأمره لا يلزم فاعلَ ذلك لومٌ ولا قصاصٌ".[١] فها أنت تراه يجيب على هذا الإشكال. وهناك علم مُشْكِل الحديث الذي يبحث في الأحاديث التي فيها تعارض ظاهري مع آية أو حديث آخر. وقد نقل الفقيه المالكي محمد ابن يوسف المواق (ت.١٤٩٢، العام الذي سقطت فيه الأندلس واكتشفت فيه الأمريكيتان) عن العلماء قولهم "الاستشكال علمٌ".[٢] ويقول عبد القاهر الجرجاني "إن التَّوْق إلى أن تقر الأمور قرارها، وتوضع الأشياء مواضعها، والنزاع إلى بيان ما يُشْكِل، وحل ما ينعقد، والكشف عما يخفى . . . شيء في سوس العقل، وفي طباع النفس إذا كانت نفسا".[٣]

فمن فنون البحث أن يرى الباحث إبهاما في كلام السابقين له فيجتهد في توضيحه. فمثلا يجد كاتبا يقول شيئا يتعارض مع شيء قاله من قبل أو مع قول عالم آخر، فيثبت هذا ثم يبحث إذا كان هناك وجه يمكن أن يفهم به الكلام بحيث لا يكون ثمة تعارض. فحينئذ يكون قد استشكل وأجاب على

---

(١) ابن حجز العسقلاني، *فتح الباري بشرح صحيح البخاري*، جـ١٠، صـ ٢٠٤.

(٢) أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغربي، *مواهب الجليل لشرح مختصر خليل*، وبهامشه "التاج والإكليل لمختصر خليل" للمواق الذي ذكر النص المنقول، جـ ٦، صـ ٢٦١ هامش.

(٣) *دلائل الإعجاز*، صـ ٣٤.

الاستشكال. وليس هذا بالأمر السهل؛ فهو ولا شك يتطلب ذكاء وفطنة، وتوفيقا من الله تعالى. وبهذا يكون الباحث قد عمل معروفا فيمن يأتي بعده فيجد الجواب على الإشكال مطروحا أمامه. وربما لا يجد الباحث جوابا على الاستشكال، وتظل المشكلة مطروحة، أو يكون التعارض الذي وجده الباحث حقيقيا، وحينئذ يكون موطن نقد في ذلك الكلام المتعارض مع نفسه، أو موطن ترجيح بين الكلامين المتعارضين.

إضافة إلى ذلك، ينبغي أن يستشكل الباحث كلامه هو نفسه، قبل أن يستشكله غيره، فينظر هل في كلامه ما يعترض عليه، فيطرح هو هذا الاعتراض ويحاول أن يجيب عليه. وهذا يدل على جرأة الباحث وأنه شجاع ومتأكد مما يقول، لدرجة أنه يحاول أن ينقد ما قال ثم يثبت خطأ هذا النقد وصحة ما قال. وهذا الأسلوب شائع في كتابات التراث، وهو ما يعبر عنه بقول "وقد يقال كذا" أو "وإذا قيل كذا قلنا كذا". هذا ما أعنيه بالاستشكال، فربما لم يقل أحد شيئا مطلقا، لكن الكاتب يستبق الأحداث ويفترض أن هناك من يعترض على كلامه، ويرد عليه.

ومن المتأخرين الذين يحسنون الاستشكال والرد في كلامهم السعيد عبادة، فيقول في *بيت الشعر* "فإن قلت: متى كان الإيحاء بالشيء كالتصريح به؟ أو قلت: متى كان التشبيه مقتضيا في المشبه به نفس صفات المشبه، إن الأمر بالعكس؟ فالجواب: أن الإيحاء هنا كالتصريح، وأن ما اقتضاه التشبيه صحيح، والدليل على ذلك . . . نصان: . . . ".[(١)] فإنه استنطق القارئ بالاعتراض أو الاستشكال ثم أجاب عليه بالدليل من خلال نصين ذكرهما وعلق عليهما بعد ذلك. وقد يستشكل وقبل أن يجيب يُبَيِّنُ

(١) السعيد السيد عبادة، *بيت الشعر وبيت الشعر*، صـ ١٢١.

وَجاهَةَ الاستشكال وصحته، مثل قوله:

> فإن قلت: إن أبا العلاء مسبوق في أكثر ما ذهب إليه عن مصدر الشعر الجيد. قلت: هذا حق . . . لكنني على الرغم من هذا السبق أكرر أن أبا العلاء في إطار ما عرضت من أقواله – كان أشمل نظرا، بالتفاته إلى أكثر ما سُبِقَ إليه، كما كان أروع تناولا، بعرضه ما عرض منه أو أكثر في هذا الإطار التطبيقي الطريف.(١)

فقوله "هذا حق" اعتراف منه بصواب الاعتراض والاستشكال، والجواب يبدأ من قوله "لكن". فهذا الأسلوب يضفي على الكلام حركة وحياة وأخذا وردا، وهذا خير من الكلام التقريري الصرف، وخير من التغافل عما يمكن أن يعرض للقارئ من استشكال.

إذن الاستشكال والرد من الأمور التي تُكْرِمُ البحث، وتجعله جديرا بالنسبة إلى العلم، وتجعل القارئ مرتاحاً إلى ثقة الباحث فيما يكتب، وفوق كل ذلك تجعل الكلام أقرب إلى الإقناع.

والآن باتت كلمة "استشكلت" نادرة الوجود، ونرجو أن تعود.(٢)

تاسعاً التنظير والتمثيل: وهما كالنظرية والمثال في الهندسة، أو كالقاعدة والمثال في الفقه والنحو. وهذا من جميل أساسيات البحث في العلم. فالكلام

---

(١) السعيد السيد عبادة، *أبو العلاء الناقد الأدبي*، صـ ١٥٩، ١٦٠.

(٢) ومن الجدير بالتأمل تطابق كلمة "استشكال" مع كلمة أخرى ترد بكثرة في أبحاث الغربيين وهي (بُرُبْلِمَتَيْزِيشَنْ problematization). فهذا المفهوم إذن يدور في البحث العلمي على اختلاف ألسنته، فلا بد أن نعيد استخدامه مرة أخرى.

في العلم أحيانا يكون نظريا فقط، لا تطبيق له على الواقع، وحينئذ يفقد الكلام واقعيته ويكون أبتر. لكن إذا شُفِعَ بمثال أو أكثر مما هو موجود بين أيدي الناس من قبل أن يكتب الباحث كلامه، فحينئذ يزهو الكلام بواقعيته ويرتاح العقل لمصداقيته. والنبي ﷺ يقول "ليس الخبر كالمعاينة".[١] والكلام النظري كالخبر، والمثال الذي يعقب التنظير كالمعاينة التي تثبت ما جاء في الخبر.

فعلى سبيل المثال لما قال محمود شاكر بنظرية التشعيث في الشعر – وهي من أوقع ما كتب في النقد الأدبي الحديث – مثَّل لما يقول بقصيدة تأبط شرا، ثم جاء كمال لاشين وطبق هذه النظرية مرة أخرى على قصيدة عمرو بن الأهتم رضي الله عنه.[٢] والعقاد ذكر نظرية النرجسية وضرب لها مثالا بأبي نواس.[٣] وكتابنا القدماء لهم مهارة بالغة في التمثيل لما يقولون، ومرد ذلك فيما أرى لكثرة ما يحفظون.[٤] وهم يعيبون عكس ذلك، كما قال ابن القَوْبَع على كتاب حازم القرطاجني *منهاج البلغاء* "ولما وقفت على قوانين هذا الكتاب ووعيتها وإن كان ترك التمثيل لها، صار كل ما أقرأه وأنظر فيه من كلام بليغ أو بديع، يصير كله لي أمثلة لتلك القوانين".[٥]

---

(١) طرف من حديث صحيح. أحمد بن حنبل، *المسند*، جـ ٣، صـ ١١٤، رقم الحديث ٢٤٤٧.

(٢) كمال عبد الباقي لاشين، *تذوق الشعر*.

(٣) عباس محمود العقاد، *أبو نواس*.

(٤) أما المحدثون، فقد سمعت الشيخ أبا موسى يقول إن عبد الله الطيب كتب المرشد من إملاء عقله، على كثرة شواهده جدا. وتعجب الشيخ من هذا الحفظ الواسع المتين.

(٥) انظر فاتحة *منهاج البلغاء وسراج الأدباء*.

فكأنه لا يستجيد خلو الكتاب من الأمثلة المبينة؛ لأن ذلك لا يعين القارئ على الفهم.

وما أجمل قول عبد القاهر الجرجاني في تعليل أهمية وجمال التمثيل، إذ يقول "واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه، أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه . . . كساها أبهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها".(١) وهذا الكلام وإن كان في التمثيل الذي هو من قبيل التشبيه البلاغي إلا أنه ينطبق على التمثيل في المعاني العلمية التي تكون جافة كثيرا لو تركت بدون ضرب أمثلة توضحها وتشهد لها. والله سبحانه يقول "وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون" (الحشر ٢١)، ويقول "ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم" (النور ٣٥)، ويقول "ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون" (الزمر ٢٧)، ويقول "وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون" (العنكبوت ٤٣)، ويقول "يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له" (الحج ٧٣)، ويقول تعالى "ضرب لكم مثلا من أنفسكم" (الروم ٢٨).

والمتأمل في كتاب الله يجد أن الله سبحانه وتعالى يضرب الأمثال من حياة الناس كي تكون قريبة إليهم، فتذعن لها عقولهم. أليس من العجيب أن يأتي الله في القرآن بصورة المرأة التي تغزل لكن تنقض غزلها من بعض قوة، والصفوان الذي عليه تراب، والعهن المنفوش، والجمال الصفر، والحمر المستنفرة التي فرت من قسورة، والكلب الذي يلهث دائما، والحمار الذي يحمل أسفارا. وحديث القرآن أجل حديث، وليس هناك أعظم شأنا منه، فلنتعلم من القرآن فنأخذ الأمثال في كلامنا من البيئة التي نحيا فيها.

---

(١) *أسرار البلاغة*، صـ١١٥.

إذن ضرب الأمثال من الأمور المهمة في البحث العلمي، ومهمتها التوضيح والإقناع وربط الكلام بالواقع. فإن منزلة المثال من القاعدة النظرية منزلة الفعل من القول.

تلكم الأمور التسعة لا تتوقف حتى ينتهي الباحث من بحثه، فهي عمل الباحث خلال البحث. هي منهج البحث، بغض النظر عن النظرية التي يتبعها الباحث، فالتحليل، والقراءة، والملاحظة، والسؤال، وهذه الأمور لا ينفع بحث بدونها، فهي طريقة البحث، هي منهج البحث. فإذا سئل الباحث عن منهجه يجيب بأنه يقرأ، ويلاحظ، ويسأل، ويقرأ مرة أخرى، ويحلل، ويرى ويستدل، ويقارن ويقابل ويعلل، ويستشكل ويجيب، وينظر ويمثل. أما إذا سئل عن نظريته فالنظريات كثيرة منها تاريخي، ومنها اجتماعي، ومنها شكلي، ومنها فلسفي، ومنها بلاغي، ومنها لغوي. لكن منهج البحث ليس بنظرية؛ إنما المنهج طريق واضح، يسلكه الباحث الذي يبحث من زاوية تاريخية أو اجتماعية أو شكلية أو بلاغية أو غير ذلك.

وكلما حصَّل الباحث علما كتبه ولخصه، فيكتب رأيه ودليله، وما يستشكله وما يرد به، وأوجه المقارنة والمقابلة، والأمثلة. يكتب ذلك بوضوح كأنما يتحدث به ويعرضه على الناس، بحيث ينفعه حين يصوغ بحثه بشكل منظم. وهذا هو التصنيف أو التأليف الذي يؤلف فيه الكاتب بين الأشياء التي سبق الحديث عنها.

والتأليف أو الكتابة ليست تدخل ضمن منهج البحث الذي هو من عمل العقل، لكنها مرحلة يتم بها البحث ويتجسد فيها، فالكتابة للبحث كالشكل للمضمون، أو كاللفظ للمعنى. والشكل هنا ليس لفظا ولا جملة، بل هو كلام علمي طويل، فلابد أن نعتني به وبسماته وجمالياته وأساليبه.

* * *

باب: التصنيف

يمكن أن نميز مرحلتين في كتابة البحث العلمي. المرحلة الأولى هي التي تكون أثناء التحليل وما بعده من إجراءات. وهذه المرحلة تُسَمَّى المُسَوَّدة، ومفهومها العام أنها ورقات يكتب الباحث فيها ما توصل إليه من معلومات ورؤى قبل أن يصوغها صياغة علمية واضحة منقحة.(١) ولكن هذه الكتابة لا تكون الأخيرة المعتمدة، بل بعد انتهاء الكتابة الأولى في كل مبحث أو فصل، يعيد الكاتب صياغة ما كتب من معلومات وآراء وغير ذلك في كلام مرتب الأفكار ومنظم الأجزاء. فالكتابة الثانية تختلف عن الأولى من حيث الترتيب والنظرة الشاملة للمنتج العلمي الذي أسفر عنه التحليل. فبينما الكتابة الأولى تكون صيدا لما يستخرج من التحليل أولا بأول، تكون الثانية صياغة لهذا الصيد، وجمعا وترتيبا وتنسيقا لكل ما انتهى إليه الباحث في الجزء الذي يشتغل به. فالكتابة الأولى يكتبها الباحث لنفسه، والثانية يكتبها للقارئين كذلك.

وهذه الكتابة الثانية كان السابقون يسمونها تصنيفا. فيقولون فلان صَنَّف، وقال المُصَنِّف. فيقول النووي في *المجموع* "وقد أكثر العلماء رضي الله عنهم التصنيف فيها [الكتب الفقهية] من المختصرات والمبسوطات، وأودعوا فيها من المباحث والتحقيقات".(٢) لأن مدلول كلمة التصنيف أكبر من مدلول كلمة الكتابة؛ إذ فيه معنى تقسيم المادة المكتوبة إلى أصناف ووضع كل صَنْفٍ في مكانه. ففيها تمييز لما يُكتب وما يُترك، وأين يضع هذه ويضع

---

(١) علي جواد الطاهر، *منهج البحث الأدبي*، صـ ٩٧. عبد الوهاب إبراهيم، *كتابة البحث العلمي صياغة جديدة*، صـ ٢٠٣.

(٢) النووي، *كتاب المجموع*، جـ ١، صـ ١٦.

تلك، وكيف يعرض هذه بعد ما قبلها وقبل ما بعدها. والآن يسمي هذا تأليفا، فيؤلف الكاتب بين أشياء متفرقة ليصنع شيئا جديدا. وهكذا تكون الكتابة العلمية حقا.

وهناك تطور حدث في كتابة البحث العلمي، فإن كثيرا من الباحثين الآن يكتبون على الحاسوب، والبعض يستخدم الورق أولا ثم يكمل الكتابة على الحاسوب، وأظن أن القليل هم الذين يكتبون على الورق فقط ثم يعطون ما كتبوه لمن يكتبه مرة أخرى على الحاسوب. والقلم والحاسوب في تنافس شديد الآن. فالكتابة على الحاسوب أسهل في التصويب والتعديل، وأوفر للوقت في ظل نظام الطباعة الذي يستلزم كتابة الكلام على الحاسوب أولا، وكذلك لا تحتاج إلا أداة واحدة وهي الحاسوب. لكن الكتابة بالقلم هي الأصل، وتعين المخ على التفكير والتركيز، ولا تحتاج إلى تعلم نظام الحاسوب، وتتيح للكاتب تتبع المسودات المتعددة التي تعكس مراحل الكتابة، وهي كذلك آمن حيث إن كل ما على الحاسوب قد يُفقَد في لحظة. ونحن في حاجة إلى دراسة هذا الأمر الذي يعد نقلة كبيرة في الكتابة وبالتالي في العلم. على كل حال، تفصيل الكلام في كتابة العلم لا يتأثر بكون أداة الكتابة قلما أو مفاتيح.

والكتابة تقسم إلى مقاطع تسمى فِقْرات. والفِقْرَة تُبنى من جمل، والجملة تبنى من كلمات. فأما الكلمة المفردة والجملة ففنون تأليفهما يعلمها لنا علم البلاغة. فلا نقف عند هذا الأمر هنا. إنما نقف عند كتابة الفقرة. فلنفترض أننا نعلم شروط فصاحة الكلمة وشروط فصاحة الجملة وما يتبع ذلك من تقديم وتأخير وتعريف وتنكير وفصل ووصل وغير ذلك من دروس البلاغة التي تعلم كيف تتكلم. نريد الآن أن ننظر كيف ينبغي أن تُبنى الفِقْرَة؟

إن تسمية "فِقْرَة" تدل على حِكْمَةٍ، لأنها مأخوذة من فِقار الظهر وهي ما انتضد من عظام الصلب من لدن الكاهل إلى العَجْب.[1] ولذا نقول العمود الفِقري، الذي تكون فقراته أو فقاره مركبة كل واحدة على الأخرى في نظام إلهي معجز. فإذا سمينا قطع الكلام في النص فقرات فإننا لا شك نعني أن ترتيب هذه الفقرات يشبه (أو ينبغي أن يشبه) ذاك الذي يكون في فقرات الظهر. إذن فلتكن قطع الكلام منضودة متناسقة متماسكة كقطع العظم المنضود في ظهر ابن آدم. فما أحلى هذه التسمية.

ولو تأملنا كلمة "فقرة" مرة أخرى لوجدناها شبيهة بكلمة فكرة. فلتكن كل فقرة فكرة، أي تشتمل كل فقرة على فكرة واحدة تقدمها للقارئ. وبهذا تكون الفقرة قطعة من الجمل التي تدور حول موضوع واحد، ويصبح في الفقرة وحدة موضوعية (كما يقول النقاد). فلتطل الفقرة أو لتقصر مادامت تناقش فكرة واحدة. إذ لو كان في الفقرة أفكار متعددة لتشتت ذهن القارئ، ولما كان هناك معنى لتقسيم الكلام إلى فقرات إذن. فنحن نقسم الكلام إلى فقرات حتى يسهل هضمه في العقول، فمن ثَمَّ ينبغي أن تكون كل فقرة تحتوي على فكرة.

داخل الفقرة جمل. لنفرض أن هناك خمسَ جمل. هل أجعلها كلها على وتيرة واحدة أو على نغمة واحدة من حيث تقديم الفكرة؟ أيحسن أن تكون الجملة الأولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة على ضرب واحد من الإخبار والإعلام بالفكرة؟ إذا نحن فعلنا هذا فإما أنه سيكون هناك تكرار، كل جملة تكرر ما قالته التي قبلها – ولا شك أن هذا أسلوب ضعيف – وإما أن كل جملة ستعرض جزءا من الفكرة وسيجب على القارئ أن يجمع هذه الأجزاء ويَلُمَّ شملها في ذهنه حين ينتهي من الفقرة، وهذا غير جيد أيضا؛

---

(١) *لسان العرب*، صـ ٣٤٤٥.

لأن القارئ قد يلتبس عليه الكلام فيكرهه لسوء عرضه. لكن أرأيت لو أنا قسمنا الفكرة إلى أجزاء، ثم جعلنا جملة في الفقرة تقدم لهذه الأجزاء مجتمعة، لتكن الجملة الأولى مثلا، ثم فصلنا كل جزء في جملة، ثم جعلنا آخر جملة في الفقرة تلخص هذه الأجزاء مجتمعة، ألا يكون ذلك أطيب للقارئ؟ حينئذ تكون كل فقرة ثلاثة أجزاء، جزء كالمقدمة فيه جملة واحدة هي كالأم بالنسبة للفقرة، وجزء كالخاتمة يلخص فكرة الفقرة وقد يرشح الفقرة التي تليها، وبينهما الجزء الأكبر الذي فيه تفصيل الفكرة. هذا التقسيم والتصنيف ييسر الفهم ويجعل القراءة ممتعة.(١)

وهاكم مثالا من كلام عبد الله الطيب عن شعر المعري في الدرعيات وتميزه عن شعره البغدادي ورسائله المنظومة:

> (١) أما نهج المعري في الدرعيات فقد كان أصفى. (٢) وكأنه إنما أراد هذه المنظومات لمجرد التعبير عن نفسه بالدندنة والأنغام. (٣) وصفة الرمزية الغالبة عليها – أعني تشبيهه لنوع الحياة التي كان يحياها بالدرع الواقية – تؤكد ما ننسبه إليها من غلبة العنصر الذاتي عليها، وكذلك ضعف (عامل) طلب الإعجاب (الواضح في قصائده البغدادية)، و(عامل) طلب السيطرة (الملموس في رسائله المنظومة وكثير من لزومياته). (٤) ولأن المعري قد كان في هذه القصائد مترنما، مناغيا للحروف والأصوات، في أسىً وشجن، فإن الجناس السجعي، أغلب شيء عليها، ويرافقه الجناس المتشابه تاماً أحيانا، وغير تامٍ كثيرا. (٥) والمعري لا يحرص على أن يجانس بين كلمة

(١) ولعل هذه الفقرة نموذج واضح.

في أول البيت وآخره دائما، وإنما يفعل ذلك حين يتيسر له، فإن لم يتيسر رضي بأن يكون الجناس بين كلمة في بيت سابق وآخر لاحق. (٦) وعنصر الاطمئنان والثقة والرضا، الذي يكون أبدا مع المترنم الخالص الترنم، تلمسه جليا واضحا في القصائد الدرعيات ونكتفي هنا بأن نستشهد بجانب من قصيدته الميمية:

كم أرقمي من بني وائل موائل في حلة الأرقم

للتدليل على بعض ما نقول. (٧) ونلفت القارئ بخاصة إلى هذه السلاسة والتدفق والصفاء الغامر لروح هذه القصيدة، ولعله يوازن بينه وبين الانفعال والحرارة والتدفع الذي في قصيدته:

نبي من الغربان ليس على شرع[١]

تجد في هذه الفقرة سبع جمل. أولها تقدم فكرة الكاتب ورأيه باختصار وإيجاز. وثانيها تفسير وتعليل لما أشار إليه في الجملة الأولى. وثالثها استدلالات ومقارنات تؤكد صحة الفكرة. ورابعها استطراد متعلق بموضوع الدندنة. وخامسها ملاحظة مكملة لمعنى الجملة الرابعة. وسادسها استدلال آخر وشاهد من كلام المعري. وسابعها تعليق على النص المنقول، وفيه تأكيد على الفكرة كلها. فالجملة الأولى كأنها أم الفقرة، وبعدها يأتي تفصيل الفكرة مرة بالتفسير، ومرة بالدليل العقلي، ومرة بالنقلي، ومرة بالمقارنة. والجملة الأخيرة فيها – إضافة للمقابلة – تلخيص لمعنى الفقرة كلها، وفيها

---

(١) عبد الله الطيب، *المرشد إلى فهم أشعار العرب*، جـ١، صـ٦٥٥،٦٥٦. النقاط التي تحتها خط من عندي، ولا شك أنها سقطت من الطباعة. والأرقام بين القوسين مزيدة للتوضيح.

صدى للجملة الأم يظهر بين "أصفى" في أول جملة و "صفاء" في آخر جملة. ولا شك أن هذا الأسلوب يجعل القراءة والفهم يسيرا ومنطقيا إلى حد كبير. وهذا التشابه اللفظي بين أول الفقرة وآخرها يشبه رد العجز على الصدر، أو ما سماه حازم القرطاجني التسويم والتحجيل،(١) وهو وإن كان من جماليات الشعر، فلا بأس باعتماده في الكلام العلمي أيضا طالما أنه يعمل طلاوة في الكلام.

وهاكم مثالا ثانيا:

> (١) وعندي أن وصف الشاعر لحالات الفرس المختلفة، كما فعل امرؤ القيس، ليس بتقسيم، وإنما هو موازنة ومقابلة. (٢) ومن عجبٍ للقدماء عدهم هذا ونحوه تقسيما؛ والمقابلة – وهي كما وصفوها إعطاء كل شيء حكمه – أصدق عليه. (٣) والتقسيم في هذه الأبيات، لو تأملته، قليل، وهو عند مواقف اللسان، في: أقبلت، وأدبرت، وأعرضت. (٤) وأحسب أن الذي راع الأوائل من كلام امرئ القيس هذا، هو عنصر الموازنة الناشئة من المقابلة والتكرار والطباق والتقسيم في أوائل الأبيات. (٥) وكأن ابن رشيق قد فطن لهذا حين سمى كلام امرئ القيس المذكور، تنسيقا، وذلك حيث يقول: (ولو لم يكن إلا تنسيق هذا الكلام بعضه على بعض ...الخ).(٢)

هذه الفقرة خمس جمل. أولها يعرض فكرة الكاتب ورأيه (وقوله "عندي" يشعر بأنه يخالف غيره). وثانيها ينقد الرأي المخالف، ويبين تناقضه مع نفسه.

---

(١) حازم القرطاجني، *منهاج البلغاء*، صـ ٢٩٦ ، ٢٩٧.

(٢) عبد الله الطيب، *المرشد*، جـ١، صـ ٧٠٠.

وثالثها يسوق ملاحظة كالدليل على صحة الفكرة. ورابعها تفسير للقول بالرأي المخالف. وخامسها دليل نقلي على صحة الفكرة. فالجملة الأولى كأنها أم الفقرة. وبعدها يأتي التفصيل بذكر الرأي المخالف مرة، وبذكر دليل عقلي مرة، وبذكر السبب الذي نتج عنه الرأي المخالف مرة. وآخر جملة فيها دليل نقلي كالشاهد على صحة الفكرة، وهو في الوقت ذاته يلخص مضمون الفكرة العام.

وقد وجدت هذا الأسلوب شائعا في كلام عبد الله الطيب رحمه الله تعالى. وهناك أساليب أخرى. فأحيانا تكون الفقرة جملة واحدة فقط، وربما تجد الفقرة تكاد تبلغ صفحة كاملة وليس فيها نقطة واحدة إلا في آخرها.(١) وأحيانا تجد الفقرة فيها أكثر من فكرة إلا أن تحاول ضم الأفكار في فكرة واحدة كبيرة.(٢) فمن الصعب إذن أن نضع تصورا واحدا لبناء الفقرة من واقع ما هو مكتوب. فالكتاب يختلفون كثيرا في بناء فقراتهم. ومن ثم فالأمر أسلوب، كل كاتب له أسلوبه. ومع هذا أرى أن البناء المقترح أعلاه هو الأوقع والأسهل.

والقدماء كانوا يطلقون مصطلح الفقرة على السجعة، أي الجزء الذي يتشابه في صوته الأخير مع ما قبله أو ما بعده.(٣) فالفقرة إذن من أساليب البديع في النثر. وهذا الفهم مختلف عن استخدام مصطلح الفقرة والفقرات في

---

(١) انظر مثلا محمد أبو موسى، *دراسة في البلاغة والشعر* صـ١٥٩، *خصائص التراكيب* صـ١٢ – ١٨٠، *مدخل إلى كتابي عبد القاهر* صـ ١٤ ، ١٥.

(٢) انظر مثلا: محمود شاكر، *نمط صعب ونمط مخيف*، صـ٢٠٩ – ٢٢٣ – ٢٢٤.

(٣) أبو العباس أحمد القلقشندي، *صبح الأعشى*، جـ٢، صـ١٦٩. محمد علي التهانوي، *موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم*، صـ ١٢٨١.

وقتنا، كما تحدثنا آنفا.[١]

تلكم هي الفقرة، ومنها تتكون الأجزاء الثلاثة الأساسية في البحث: المقدمة، وصلب البحث أي الفصول أو الأبواب، والخاتمة.

أولاً المقدمة (بكسر الدال وفتحها): فهي تقدِّم ما بعدها، وهي مقدَّمة على غيرها سواء في الكتابة والمكان، أو في المكان فقط. فبعض الناس يحبون أن يبدؤا بحثهم بكتابة المقدمة؛ لأن ذلك يُعين على توفير الوقت، وتنظيم العمل، وعدم تشتت الباحث أثناء عمله المقيد بوقت. وبعضهم لا يكتب المقدمة إلا بعد أن ينتهي من البحث؛ على اعتبار أنه لا يصح أن يُقَدَّم لشيء لم يوجد بعد.

وهناك كتاب يطيلون مقدمات أبحاثهم جدا حتى ربما بلغت خمسين صفحة أو أكثر، وهناك من يختصر المقدمة في صفحة واحدة، والتوسط جميل. على كل حال، مقدمة البحث وظيفتها تهيئة القارئ وتشويقه لقراءة

---

(١) وقد حاولت أن أتبصر تقسيم القدماء كلامهم فقرات، فوجدت أن تقسيم الكلام إلى فقرات في كتب التراث يكون غالبا من عمل المحقق وليس من عمل الكاتب نفسه. فلو نظرنا في *دلائل الإعجاز* لعبد القاهر الجرجاني كمثال، لوجدنا أن فقراته تختلف بين تحقيق رشيد رضا وتحقيق الشيخ شاكر رحمهما الله. ولم يشر أي منهما إلى أن تقسيم الكلام إلى فقرات من عمله هو. والأمر نفسه موجود في كتاب *عيار الشعر* لابن طباطبا، فنجد اختلافا في تقسيم الكلام إلى فقرات بين تحقيق عبد العزيز ابن ناصر المانع وتحقيق عباس عبد الساتر. وقد عرضت هذا الأمر المشكل على الشيخ محمد أبي موسى وأفاداني بأن القدماء كانوا يكتبون ولا يقسمون الكلام إلى فقرات، وقال لي الشيخ السعيد عبادة إن بعض النساخ كان يضع علامات ورموزا تفصل بين كلام وكلام وبعضهم لا يفعل. المهم أني أحب أن أعرض هذا الموضوع للبحث عسى أن يلتقطه باحث همام، لأنه مهم وغريب.

البحث. فهي تعرف بالبحث وفائدته وتضع البحث في سياق علمي يحيط به. ولذلك ينبغي أن تشتمل المقدمة على الأمور الآتية:

١- تعريفٌ بالإطار العام لموضوع البحث، تعريف بالملاحظة أو الفكرة، غرض البحث، تعريف بالسؤال والمصطلح الأم.

٢- تعريفٌ بالمادة المدروسة، أي المصادر والكتاب الذين يناقشهم البحث.

٣- تعليل اختيار المادة المدروسة دون غيرها.

٤- تعريفٌ بالدراسات السابقة، وأثرها، واختلاف البحث عنها.

٥- تعريفٌ بالوسائل التخصصية مثل التحليل الحاسوبي أو جهاز التحليل الصوتي.

٦- نبذة مختصرة عن تنظيم البحث وسر ذلك التنظيم.

إذا قدمت المقدمة للقارئ هذه الأمور الستة فقد هيأته للبحث وشوقته أيضا إن كان المضمون يهمه. وهذه الأمور توشك أن تكون مرتبة ترتيبا مطابقا لما مرَّ الباحث به من خطوات. فالبداية مع المجال العلمي الذي ينتمي إليه الباحث وبحثه، ثم يعرف الكاتب بموضوعه عن طريق الحديث عن الملاحظة التي بدأ بها اهتمامه بالموضوع، ثم يعرف بسؤال البحث الذي وضعه، والمصطلح الأم الذي يدور حوله السؤال ويدور حوله البحث كله. ولا بد أن يعرف بهذا المصطلح أو المفهوم حتى لو كان معروفا، فيعرفه من الزاوية التي يستخدمه بها في بحثه. فالآن قد أشرك الباحثُ القارئَ معه في مدخله إلى دنيا هذا البحث وأقنعه بما اقتنع هو به من جدوى البحث عن

إجابة لسؤاله.

بعد ذلك يتحول الكاتب إلى المصادر. والمصدر كتاب مؤسس لشيء كنظرية، أو جامع لشيء كديوان شاعر أو تاريخ عصر. فالمصدر إذن كتاب أصيل في موضوع من موضوعات العلم، ليس بثانوي ولا فرعي. فمصدر نظرية التشعيث كتاب *نمط صعب ونمط مخيف*، ومصدر قضية النحل في الشعر كتاب *طبقات فحول الشعراء*، وكتاب *في الأدب الجاهلي* مثلا. فليحدد الباحث المصادر التي قرر أن يتناولها بالدراسة والمناقشة والتحليل ثم يعرف بها، فيقول مثلا فلان {ويعرفه} تحدث في كتابه {ويذكره} عن هذا الأمر فقال {ويشرح بإيجاز} ولكنه {ويضيف ما يحب أن يضيف}. وهكذا يتحدث باختصار عن مصادره التي يبحث فيها. وقد يكون هناك مصادر كثيرة لموضوع البحث، فإن استطاع الباحث أن يدخلها كلها في بحثه فبها ونعمت. وإن اضطر إلى الاقتصار على بعضها، فحينئذ يختار منها ما يختار ويترك الباقي، لكن لا بد أن يعلل لِمَ اختار بعض المصادر دون غيرها. فمثلا هناك مصنفات نقدية كثيرة تحدثت عن أمر اللفظ والمعنى، فلو اختار باحث أن يتناول ثلاثة مصنفات فقط، لابد أن يعلل لِمَ لَمْ يختر سواها؟ فليس الأمر اعتباطيا. ربما يعلل اختياره تعليلا تاريخيا فيقول المصادر التي اخترتها تعكس أزمنة مختلفة مثلا، أو موضوعيا إذا كانت مصادره تتميز بميزة موضوعية عن المصادر الأخرى مثلا، أو معرفيا إذا كانت المصادر الأخرى قد دُرِسَت من قبل مثلا. المهم أن القارئ لابد أن يجد جوابا مقنعا لهذا السؤال: لِمَ تدرس هذه الكتب أو الأشياء ولا تدرس تلك؟

يلي ذلك عرض المراجع. والمرجع دراسة لمصدر من المصادر، فهو كتاب فرعي وليس أُسًّا في بابه. مثل كتاب *تقريب منهاج البلغاء* لمحمد أبي

موسى، وكتاب *مفهوم الشعر* لجابر عصفور، وغيرهما مما كتب حول كتاب حازم القرطاجني. فليبين الباحث كيف أثرت هذه الدراسات عليه وكيف تختلف دراسته عنها؟ يعني كيف تتشابه هذه الدراسات مع بحثه، وكيف سيكون بحثه مختلفا ومتميزا عن هذه الدراسات؟ لأنه لو كان بحثه لا يختلف عن الدراسات الأخرى فلا داعي لبحثه أصلا. فلابد أن يقول بحثي يستفيد من هذه الدراسات من حيث كذا وكذا، ولكنه يختلف عنها من حيث كذا وكذا. وبعرض المراجع يوضح الباحث أنه مطلع وعالم بما يقال حول موضوعه.

والآن يذكر الباحث النظام الذي اختاره لبحثه من الفصول والمباحث، ليس بسردها، فهذا شأن الفهرس، ولكن بعرضها عرضا مقتضبا وبيان ترتيبها، ولماذا اختار هذا الترتيب دون غيره. فيشرح سر ترتيب فصول بحثه. فمن المهم جدا ألا يكون ترتيب الفصول عشوائيا، بل لابد أن يكون وراءه سبب ومغزى. مثلا في هذا البحث رتبتُ أبوابه كالآتي: المنهج، التصنيف، المراجعة؛ لأن هذه هي المراحل الفعلية للبحث. وحازم القرطاجني رتَّبَ أقسام كتابه كالآتي: المعاني، المباني، الأسلوب أو الطرق الشعرية كما رجح أبو موسى.[1] وكأنه يتتبع مراحل إنشاء الكلام، بداية من اختلاج المعاني في النفس، ثم إخراجها في الألفاظ، ثم تأليف ذلك في الشعر. هذا التعليل يجعل الباحث والبحث مُتَّسمين بالعقل والإقناع وهما أمران عظيمان في العلم، يرتفع بهما شأن العالم أو ينخفض. فكلما كان في ذهن الكاتب ما قد يعرض للقارئ من أسئلة فيجيب عنها، شكر له القارئ هذا بزيادة إعجابه

(١) محمد محمد أبو موسى، *تقريب منهاج البلغاء*، صـ (و). وإن كان هناك قسم مفقود حتى الآن.

بالكلام وبنظم الكلام.

أعتقد أن هذه الأمور تكفي لصنع المقدمة على وجه حسن. يبقى أن هناك بعض الأبحاث تُستخدم فيها أدوات بحثية مثل برامج إحصائية حاسوبية أو معامل صوتية أو غير ذلك. حينئذ ينبغي أن يشرح الكاتب هذه الأدوات بشكل واضح يجعل القارئ غيرَ الخبير بها غيرَ مُنكِر لها.

ثانياً صلب البحث: وهو الفصول أو الأبواب أو المباحث التي يتكون منها البحث. والأبحاث الطويلة كالكتب والرسائل الجامعية دائما تقسم إلى أقسام ولا يكون الكلام كله مسرودا مرة واحدة. ولا شك أن السبب في ذلك هو ملاءمة التقسيم لإيضاح المعاني والأفكار وسهولة التلقي. ولله المثل الأعلى، فقد جعل كتابه العزيز مقسما إلى سور، وفي هذا بيان عظيم لأهمية تقسيم الكلام وترتيب أجزاءه.

وكل فصل يشبه أن يكون بحثا وحده – ولهذا سمي فصلا –[(١)] بمعنى أن يكون له مقدمة وصلب وخاتمة. مقدمة الفصل تطرح الموضوع المسيطر على هذا الفصل وتبين السؤال الذي يجيب عنه، وتُمَهِّد بذكر المصادر أو الأشخاص الذين يتناولهم الكاتب في هذا الفصل. فعلى سبيل المثال يقول: في هذا الفصل ندرس كذا وكذا، ونتناول فلانا وفلانا لنرى كيت وكيت.

وبعد هذا التمهيد الذي ربما يستغرق فِقْرة واحدة أو بضع صفحات، يكون صلب الفصل. وصلب الفصل هو المكان الذي تتبلور فيه عملية البحث نفسها، وتظهر آثار قراءة العلم، فيأتي فيه التحليل والرأي والمقارنة والمقابلة

(١) وسمي الباب بابا إشعارا بأنه يسكن وراءه كلام منتظم مؤتلف، وفيه تشويق للقارئ كأنه يفتح الباب لينظر ما وراءه. فكأن الذي وضع هذه الأسماء كان يتفنن في اختيارها. وددت لو عرفت من هو.

والاستشكال وتوابع ذلك من الاستدلال والتعليل والرد والتنظير والتمثيل. فهنا لُبُّ البحث وجوهره. وبقدر أهمية هذا الجوهر، يكون مظهره مهما أيضا. فلابد أن يسوق الباحث تحليله بشكل سائغ يعين على الفهم. فعرض المادة العلمية لا يقل أهمية عنها نفسها، فربما كان التحليل الذي قام به الباحث قويا وعميقا ودقيقا، ولكنه حين عرضه في الكتابة عرضه بشكل مضطرب فقدم شيئا كان حقه التأخير أو العكس. فمثلا الباحث يريد أن يبين خطأ وجده في مرجع من المراجع، فيبدأ بذكر رأيه وبيان أنه مخالف لرأي فلان من حيث كيت وكيت، ويسترسل في نقد فلان هذا ثم بعد ذلك يشرح هذا الرأي المخالف. وهذا الترتيب يجعل إفادة القارئ غير مضمونة؛ لأنه بعد أن ينتهي من الجزء الثاني أي فهم الرأي المخالف، سيضطر إلى إعادة قراءة أو تذكر الجزء الأول وهو نقد الباحث لهذا الرأي. بينما لو كان الكاتب بدأ بشرح الرأي المخالف، ثم ثَنَّى بذكر اختلافه معه بسبب واحد اثنين ثلاثة، ثم ذكر رأيه هو، لكان القارئ وجد الكلام سهلا لأنه معروض في ترتيب معقول. مثال آخر: لو بَيَّنَ الكاتبُ مصطلحا من المصطلحات وشرحه شرحا وافيا ثم انتقل إلى تطبيق مفهوم هذا المصطلح على ظاهرة أو نص من النصوص أو غير ذلك، سيجد القارئ أنه يسير سيرا هادئا مع الكاتب ولا يحتاج إلى التوقف كثيرا لينظر أين هو مما يقوله الكاتب. لكن ما بالنا لو حدث العكس وقدم الكاتب تطبيق مفهوم المصطلح على شرح المصطلح نفسه؟ سيحدث اضطراب في التلقي. وهذا الترتيب الثاني المضطرب مخالف في الحقيقة لطبيعة العلم والتعلم، فلا شك أن الباحث نفسه فَهِم المصطلح أولا ثم فهم من خلاله النص أو الظاهرة ثانيا. فَلِمَ يعكسُ هذا الترتيب الطبيعي حينما يكتب بحثه؟ الترتيب الأجود هو الذي يعين القارئ على الفهم وليس العكس. ويستثنى من ذلك ما إذا كان الكاتب يريد مخالفة الترتيب الأسهل لغرض في

نفسه. لكن عليه أن يتحمل ضجر القارئين.

وقد يرتب الكاتب كلامه، ثم في المراجعة يجد ترتيبا آخر أليق فيعيد تحبير هذا الموضع، وهذا شيء جيد جدا.

وفي نهاية الفصل يكتب الكاتب فقرة أو فقرتين يلخص فيهما ما عمله في ذاك الفصل.(١) ومن ثمّ تكون هذه الخاتمة للفصل شبيهة بالمقدمة التي افتُتِحَ الفصلُ بها، كما يكون رد العجز على الصدر، أو التسويم والتحجيل. ثم يختم الفصل بشيء يرشح الفصل الذي يليه أي يمهد للفصل الذي يليه، فيذكر جملة فيها مناسبة لما يأتي في الفصل التالي. ونحن نتعلم هذا من القرآن الكريم، فإنك تجد في نهاية السورة مناسبة لبداية السورة التي تليها، ويظهر هذا بجلاء بين سورتي القمر والرحمن، وبين سورتي الضحى والانشراح، وبين سورتي المائدة والأنعام. وكذلك يقول أهل البلاغة إن من محاسن الشعر حسن التخلص أي حسن الانتقال من غرض إلى غرض داخل القصيدة، كالانتقال من الأطلال إلى الرحلة ثم إلى المديح. وكذلك فليكن قلم أهل العلم، يُحسن الانتقال من شيء إلى شيء، ومن فصل إلى فصل.

إذن الفصل أو الباب يبدأ بمقدمة صغيرة، ثم صلب الفصل، ثم خاتمة الفصل، كذلك:

---

(١) وقبلي ذكر أحمد شلبي مسألة تقديم الفصل وختمه كما ذكرت. *كيف تكتب بحثا أو رسالة*، صـ ٧٦.

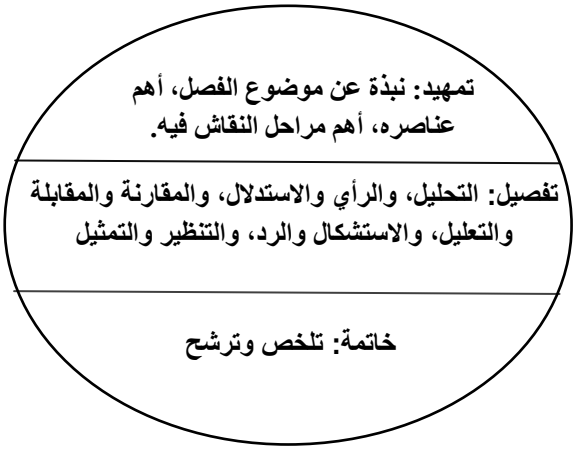

وقد وجدت عند محمد عناني أنموذجا واضحا لهذا النمط في بناء الفصل أو الباب. ففي فصل له بعنوان "لمحة تاريخية عن نظرية الترجمة" يفتتح الكلام بفقرة تجاوزت الصفحة، تمهد لما يدور حوله الفصل، يقول:

> لا يجهل عربي ما شهدته الأمة العربية من أمجاد في مجال الترجمة في عصر المأمون، ونظرية المقابلة بين اللفظ والمعنى لا في الترجمة فحسب بل في الكتابة العربية والنقد العربي – وتراثنا العربي زاخر بالشواهد على ذلك، وعلى تضارب الآراء المعارضة والمؤيدة لهذا المذهب أو ذلك. وسوف نركز في هذا الفصل على تاريخ تلك المقابلة وتواتر التعارض بين المذهبين الشائعين من مذاهب الترجمة عبر العصور، وهما مذهب الترجمة الحرفية والترجمة الحرة، ويشار إلى الأول أحيانا بمذهب ترجمة الألفاظ أو ترجمة كل كلمة بكلمة مماثلة أو مرادفة . . . وإلى الثاني بمذهب ترجمة المعاني . . . وهذه المقابلة بين المذهبين أو المناظرة بينهما هي التي سادت نظرية الترجمة في الفترة . . . وسوف نعرض في هذا الفصل للآراء

ذات التأثير العريض لكبار المفكرين القدماء مثل. . . وأما الكتابات من خارج أوربا الغربية في الموضوع فيمكن الرجوع إليها إما في . . .[١]

فهنا يوضح الكاتب الإطار العام للفصل، ويذكر القضية المحورية التي يدور حولها، والأعلام الذين يناقش آراءهم. وكأن السؤال الذي يحاول إجابته في هذا الفصل هو: كيف اختلفت الآراء بين مذهب الترجمة الحرة والترجمة الحرفية؟ وخلال تسع عشرة صفحة أخذ المؤلف يفصل القول في كل شيء يتعلق بما ذكره في هذا التمهيد، ويحلل ويناقش ويقارن ويقابل ويعلل وينظر ويمثل ويرى ويستدل. ثم ختم الفصل بفقرة تلخص ما تم عرضه وما تم عمله في الفصل، يقول:

وهكذا فإن نظرية الترجمة قبل القرن العشرين كانت في معظمها تدور حول قطبين هما إذا ما كان على المترجم أن يكون (حرفيا) فيقدم الألفاظ (كلمة بكلمة) أو أن يمارس حريته الخاصة في (التصرف) حتى يخرج ترجمة (حرة) تقدم المعاني (معنى بمعنى)، وهذه هي الثنائية التي سادت التفكير الغربي والعربي على حد سواء، أما في الغرب . . . وأما في الوطن العربي . . . وكان النموذج الثلاثي (الذي يضم النقل الحرفي والنقل بتصرف والمحاكاة) . . . أول محاولة للدراسة المنهجية للترجمة . . .[٢]

فأنت ترى أن وظيفة آخر فقرة في الفصل هي تلخيص ما تقدم فيه، وفي

(١) محمد عناني، *نظرية الترجمة الحديثة*، صـ ٢٦، ٢٧.

(٢) السابق صـ ٤٥.

الوقت نفسه تبدو كأنها صدى للمقدمة مرة أخرى. وهذا يجعل القارئ الذي ربما فاته شيء أثناء الفصل يدركه في خاتمة الفصل. وهذا أفضل من عدمه.

ثالثا الخاتمة: تلخص البحث، وتعيد صياغة إجابة السؤال صياغة مركزة. فإجابة سؤال البحث مبعثرة في فصوله ومباحثه، وكل فصل يسهم في تلك الإجابة الكبيرة. فحين تأتي خاتمة البحث كله تجمع هذه الإجابة من كل فصل وتقدمها للقارئ بشكل واضح يسير، كما تجمع النحلة الرحيق من كل زهرة ثم تخرجه عسلا مركزا.

وغالبا تكون الخاتمة شبيهة بالمقدمة. فالمقدمة تذكر ما يأتي، والخاتمة تذكر ما أتى. وهذا موجود في مقدمة البحث وخاتمته، ومقدمة الفصل وخاتمته، ومقدمة الفقرة وخاتمتها كذلك. وكل هذا يضفي طلاوة وجمالا على الكلام العلمي، كالتسويم والتحجيل الذي يزين الفرس، ويزين القصائد.

وقد درج الباحثون في مرحلتي التخصص والعالمية على عادة غير موفقة ألا وهي أنهم يأتون في خاتمة رسائلهم ويعددون نتائج البحث في نقاط تلغرافية. ما وجه هذا؟ لماذا لا أكتب هذه النتائج في أسلوب مناسب بدلا من أن أعددها بشكل سردي جاف غير أنيق؟ وكتب العلماء الكبار لا تفعل هذا، فلماذا يفعله العلماء الناشئون؟

ويستحسن أن تشتمل الخاتمة على ترشيح لأبحاث أخرى، كأن البحث أضاء منطقة كانت مجهولة، وأيضا دل على مناطق أخرى لا تزال مجهولة في المعرفة تحتاج من يبحث في خفاياها عن خباياها. وهذا يسمى بتوصيات البحث، وأرجو ألا تكون كتوصيات المؤتمرات!

وأذكِّر بأن تصنيف العلم غير العلم، فكتابة العلم شيء يختلف عن تحصيله ومذاكرته. فليس كل عالم نحرير كاتبا جيدا يُحسن عرضَ علمه في الكتاب. ولذا كان من الواجب أن يُلقي الباحثون والعلماء بالاً إلى أمر الكتابة والتصنيف حتى يتقنوه. وحسن التصنيف يَتَأَتَّى من وجهين: وجه هو تعلم طرق الكتابة وفنونها كما عرضنا قبل من أمر تأليف الفقرة والمقدمة والفصل والخاتمة، ووجه هو قراءة الكتابات الحسنة الجيدة كي يُحْذَى حذوها. بمعنى آخر: اقرأ تكتب إن الكتابة من الكتابة. فمن أكثر من قراءة الكلام الفصيح الواضح البليغ كتب مثله، ومن لم يقرأ شق عليه.

يبقى بعد الانتهاء من التصنيف كتابة الفهرس إذا كان البحث كتابا أو رسالة طويلة. ثم تأتي مرحلة خطيرة في البحث ألا وهي المراجعة.

باب: المراجعة

المراجعة أمر لا يستهان به، ففيها تتكشف للباحث أشياء لم تكن لتخطر على باله: أخطاء في الاستدلال، أخطاء في النقل من المراجع، أخطاء في سياق الكلام، أخطاء في الفهم، وغير ذلك من الأمور التي لا يكاد يخلو بحث منها. لأجل ذلك يتحتم على الباحث أن يجعل وقتا كافيا للمراجعة على بحثه، حتى لو خَيَّلَتْ له نفسه أن البحث لا خطأ فيه.

من أهم الأشياء في المراجعة أن تكون بصوت عال. فيقرأ الباحث بحثه قراءة يُسمع بها نفسه، لا يقرأ في سره. فالإنسان حين يقرأ ما كتب بصوت عال ينتقل من موقف الكاتب إلى موقف السامع، فيدرك أشياء لا يستطيع أن يدركها بمجرد القراءة بالنظر. أو قد يعطي بحثه لمن يتلوه عليه، فهذا جيد أيضا. ونحن نجد هذا معمولا به عند العلماء قديما، فقد كان العالم يُملي كتابه على التلاميذ، ثم يتلوه عليه الطالب مرة أخرى، والشيخ يسمع ويصحح الخطأ، أو يزيد شيئا، أو يجيز القارئ في الرواية عنه. وهذا معروف عند المحدثين كأسلوب من أساليب رواية الأحاديث الشريفة.[1] وقلدهم العلماء الآخرون، فقد نقل ابن النديم في ترجمته لأبي عمر الزاهد – أحد علماء اللغة في القرن الثالث والرابع – أن تلاميذه كانوا يعرضون عليه – أي يقرأون عليه – كتابه *الياقوت في اللغة*، وفي كل عرضة يزيد الشيخ شيئا ويُنَقِّح.[2] إذن لا بد من قراءة البحث بصوت عال.

والأفضل أن يقرأ الباحث بحثه كله في يوم واحد كي يستطيع أن يلاحظ

---

(١) ابن كثير، *الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث*، صـ ٣٢٩،٣٣٠ – ٣٤١.

(٢) ابن النديم، *الفهرست*، صـ ١١٤. وقد دلني عليه عبد السلام هارون في *تحقيق النصوص ونشرها*، صـ ٢٩.

اتساق الكلام كله من أوله إلى آخره أو عدم ذلك. وهذا يتطلب أن تكون المراجعة في يوم واحد أو يومين. فلو فرضنا أن الفصل الأول فيه ما يتعارض مع ما في الفصل الأخير، والباحث راجع الفصلين في اليوم نفسه، فإنه سيدرك هذا التعارض بسهولة، لكن لو راجع الفصل الأول يوم الاثنين وراجع الفصل الأخير يوم الجمعة فإن طول الوقت بين مراجعة الفصلين يجعله ينسى ما كان في الفصل الأول وهو يراجع الفصل الأخير، وربما فات عليه ملاحظة التعارض بينهما. فالأفضل أن تكون مراجعة البحث كله في يوم واحد أو في أقصر وقت ممكن. وهي ليست مراجعة واحدة، بل لابد أن تتكرر المراجعة ما دام الباحث يرى في بحثه كل مرة أخطاء أو استدراكات، ولا يترك المراجعة إلا بأحد أمرين: إما أن يراجع فلا يجد شيئا يحتاج لإصلاح، ثم يراجع ولا يجد، ثم يراجع ولا يجد،[(١)] فحينئذ يستطيع أن يقول إنه انتهى من المراجعة ويطمئن، وإما أن يحين وقت تسليم البحث، وحينئذ يكون قد فعل ما في وسعه فيطمئن.

والقراءة أثناء المراجعة ينبغي ألا تتوقف لإصلاح ما يبدو من أخطاء إملائية أو أخطاء في النقول. بل يأخذ الباحث علامة واضحة، أو يكتب ملاحظة لزيادة شيء أو محوه عند موطن الخطأ أو النقص، ثم يُتمُّ القراءة. فهذه الأخطاء الصغيرة يرجع إليها حين يفرغ من القراءة، لكن الأهم هو التأكد من أن السياق متتابع وليس هناك انقطاع أو تضارب بين أجزاء البحث. فإذا أدرك الباحث شيئا من هذا فحينها يترك القراءة ليصلح هذا الأمر الذي لا يمكن تجاوزه.

فليلاحظ الباحث هل كلامه يسير في سياق سلس ويسلم بعضه إلى

---

(١) وأظن هذا يكاد يكون مستحيلا.

بعض، أم أن كلامه معقد ومتشابك وصعب الفهم، أم أن كلامه كله تكرار وحشو، أم هناك انقطاع وتحول مفاجئ من موضوع إلى آخر أم ماذا؟ فإذا وجده معقدا في موضع فليعد صياغة هذا الجزء بألفاظ سهلة، وقد يزيد مثالا فيكون سهلا واضحا، وإذا كان يكرر كثيرا يحذف هذا التكرار قدر ما استطاع أو يغير في الصياغة قليلا كي لا يكون الكلام مملا معيبا، وإذا وجد تحولا مفاجئا وانقطاعا في سياق الكلام فليصل بين كلامه بجملة أو بفقرة أو أكثر تجعل الانتقال من قول إلى قول يسيرا.

ومن الأخطاء التي قد تفزع الباحث وهو يراجع أن يكتشف أن بين كلامه تعارضا. فكلامه يضرب بعضه بعضا. كأن يقول مثلا إن هذا الرأي خطأ والصواب كذا، ثم يأتي بعد ذلك أو قبله فيقول بالرأي الذي خطَّأَه، ويبني استنتاجا على هذا القول وهو لا يدري. فإذا حدث مثل هذا فعلى الباحث ألا يجزع، وأن يقرأ كلامه في الموضعين قراءة بطيئة، ثم ينظر هل هذا التعارض ظاهري؟ فإن كان كذلك فقد صار عنده الآن موضع يحتاج إلى الاستشكال والرد كما بَيَّنَّا قبل. أو ينظر هل التعارض حقيقي؟ وحينئذ لا بد أن يقرر أين الصواب وأين الخطأ، فيحذف الخطأ ويعيد صياغة هذا الموضع.

ثم يتأكد أن ما وعد به في المقدمة وفَّي به في البحث. فربما قال في المقدمة سأعمل كذا أو أناقش فلانا وفلانا، ثم يُعْرِضُ عن واحد من هؤلاء. حينئذ تحتاج المقدمة إلى تعديل بحيث تكون مطابقة لما تم عمله في البحث.

وكذلك ينظر نظرة شاملة إلى بناء البحث، هل ترتيب أجزائه مناسب أم أن هناك ترتيبا أفضل؟ هل هناك فصل قصير جدا بينما الفصول الأخرى

طويلة؟ حينئذ ربما يفكر أن يجعل هذا الفصل مبحثا داخل فصل آخر، أو أن يزيده قليلا حتى يكون هناك تناسب بين حجم أجزاء البحث.

كذلك من مهام المراجعة أن يرصد الكاتب هل هناك ثغرات تجعل حجته ورأيه مردودا؟ يعني هل كلامه مقنع أم أن هناك شيئا ناقصا كدليل أو مرجع فيحتاج إلى إكماله حتى يصبح كلامه مقنعا فعلا. وينظر ما قد يوهم خلاف ما يريد، ثم يزيده إيضاحا أو مثالا بحيث لا يجعل للنقد منفذا إليه. وهذا مفيد خصوصا في كتابة الرسائل العلمية التي تناقش أو الأبحاث التي تُحَكَّم، وإن كان الصواب ألا يتوقف حسن التأليف والمراجعة على كون الكلام سيناقش أو يحكم. فالكاتب المحسن لا يكتب ابتغاء وجه المناقشين والنقاد.

فالمراجعة إذن اختبار من الباحث لبحثه قبل أن ينشره بين الناس كي يستفيدوا منه، كأنه يحلل كلامه، وكأنه يراجع نفسه ليتأكد من سلامة وصحة ما قال. وكونها مراجعة على وزن مفاعلة يعني أنها لا تخلو من تفكير وأخذ ورد، فهي عملية تحتاج إلى صبر وأناة. وإن كان حقا ويقينا أنه لا يخلو كلام بشر بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من نقص وعيب، لكن حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم. والحمد لله في الأولى والآخرة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأحبابه أجمعين.

* * *

الخاتمة

"اقرأ تكتب إن الكتابة من الكتابة" هو خير ما أختم به؛ فهذا هو خير ما يجاب به عن السؤال المشهور: كيف تصنع بحثا؟ وقد استخلصت هذا القول من قول العرب "احفظ تقل إن الكلام من الكلام".

وبناء على هذا، فلنقرأ النماذج التي بين أيدينا من أبحاث خصوصا كتب التراث – الذي جعل عصره ذهبيا كما يقولون – نتلمس فيها طريقة هؤلاء العلماء في إنتاج المعرفة، وطريقة تصنيفهم للعلم، ونقارن ونقابل هذا بما تعلمنا وبما نُعَلِّم. وقد أدهشني العقل والفكر الذي يكمن تحت الألفاظ العربية الموضوعة للعلم والبحث مثل الرأي، والمنهج، والاستنباط، والاستشكال، وكلمة البحث نفسها. أشياء الجهل بها يفوت علينا كثيرا من احترام العلم، والإحساس بقيمة البحث فيه.

والغرض الأساسي لما كتبت هو الفهم، أن نفهم معنى البحث، وأهميته، ومنهجه، ونصحح مفهومنا الملتبس لكلمة المنهج، التي تعني الطريق الواضح. فإذا صار الطريق الواضح غير واضح وملتبسا، فماذا ننتظر؟

فمنهج البحث أمور يقوم بها عقل الباحث من قراءة، وملاحظة، وسؤال، وقراءة، وتحليل، ورأي واستدلال، ومقارنة ومقابلة وتعليل، واستشكال ورد، وتنظير وتمثيل. هذا هو الذي يجعل البحث بحثا. ولا يختلف هذا المنهج باختلاف النظريات، بل هو منهج البحث الأصيل. وأهم ما فيه القراءة والتحليل، تحليلَ الكلام العلمي.

كذلك يسعى هذا البحث نحو بيان سبيل سهل جميل لكتابة العلم وتصنيفه، يجعل القارئ مقبلا على الكتاب مرتاحا لوضوحه وتنظيمه. ونحن

توقفنا عند البلاغة التي علمتنا كيف نصنع اللفظ الفصيح والجملة البليغة، لكننا نحتاج إلى ما يعلمنا كيف نصنع البحث العلمي الدقيق ونكتبه تأليفا وتصنيفا بداية من الفقرة ثم الفصل ثم الباب ثم البحث كله. لنفكر في أمر الكتابة ونضع بين أيدينا ما يعلمنا كيف نكتب كتابة تليق بأمة اقرأ.

* * *

المراجع

- ابن النديم. *الفهرست*. القاهرة: المطبعة الرحمانية، بلا تاريخ.
- ابن كثير. *الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث*. تحقيق: أحمد محمد شاكر و محمد ناصر الدين الألباني. الرياض: مكتبة المعارف، ١٩٩٦.
- ابن منظور. *لسان العرب*. تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون. القاهرة: دار المعارف، بلا تاريخ.
- ابن هشام. *السيرة النبوية*. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٠.
- أبو الحسن حازم القرطاجني. *منهاج البلغاء وسراج الأدباء*. تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٧.
- أبو العباس أحمد القلقشندي. *صبح الأعشى*. المجلد ٢. القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩١٣.
- أبو الفتح عثمان بن جني. *الخصائص*. تحقيق: محمد علي النجار. القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٥٢.
- أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي. *كتاب المجموع*. تحقيق: محمد نجيب المطيعي. جدة: مكتبة الإرشاد، بلا تاريخ.
- أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي. *غريب الحديث*. تحقيق: عبد الكريم العزباوي. دمشق: دار الفكر، ١٩٨٢.
- أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغربي. *مواهب الجليل لشرح مختصر خليل*. تحقيق: الشيخ زكريا عميرات. الرياض: دار عالم الكتب، ٢٠٠٣.

- أبو عمرو عثمان بن بحر الجاحظ. *الحيوان*. تحقيق: عبد السلام هارون. القاهرة: مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٦٥.
- أبو هلال العسكري. *الفروق اللغوية*. تحقيق: حسام الدين المقدسي. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨١.
- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. *فتح الباري بشرح صحيح البخاري*. القاهرة: دار الحديث، ١٩٩٨.
- أحمد بن محمد بن حنبل. *المسند*. تحقيق: أحمد محمد شاكر. القاهرة: دار الحديث، ١٩٩٥.
- أحمد شلبي. *كيف تكتب بحثا أو رسالة*. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٨.
- السعيد السيد عبادة. *أبو العلاء الناقد الأدبي*. القاهرة: دار البصائر ، ٢٠٠٧.

—. *بيت الشِّعر وبيت الشَّعر دراسة تأصيلية نقدية*. القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١٧.

- القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني. *الوساطة بين المتنبي وخصومه*. تحقيق: محمد أبو الفضل إبرهيم، علي محمد البجاوي. القاهرة: عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٦.
- تمام حسان. *الأصول دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب*. القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٠.
- جابر عصفور. *مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي*. القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٩٥.
- رومن جاكبسن. *لَنْجُوِيتْش إن لتِرتْشَر*. (اللغة في الأدب). تحقيق ستِفَن رودي و كِرِسْتينا بُمُرسْكا. لندن: مطبعة جامعة هَرفَرْد، ١٩٨٧.

- سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني. *المطول شرح تليخص مفتاح العلوم*. تحقيق: عبد الحميد هنداوي. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٣.
- سعد مصلوح. *الأسلوب دراسة لغوية إحصائية*. القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٢.

—. *في النص الأدبي دراسة أسلوبية إحصائية*. الجيزة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٣.

- شكيب أرسلان. *الشعر الجاهلي أمنحول أم صحيح النسبة*. تحقيق: محمد العبدة. دمشق: دار الثقافة للجميع، ١٩٨٠.
- شوقي ضيف. *البحث الأدبي طبيعته، مناهجه، أصوله، مصادره*. القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٢.
- صلاح فضل. *علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته*. القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٨.

—. *مناهج النقد المعاصر*. القاهرة: ميريت للنشر والمعلومات، ٢٠٠٢.

—. *نظرية البنائية في النقد الأدبي*. القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٨.

- عباس محمود العقاد. *أبو نواس الحسن بن هانئ*. المكتبة العصرية: بيروت، بلا تاريخ.
- عبد الرحمن بدوي. *مناهج البحث العلمي*. الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٧٧.
- عبد السلام هارون. *تحقيق النصوص ونشرها*. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٨.
- عبد العزيز حمودة. *الخروج من التيه دراسة في سلطة النص*. الكويت: مطابع السياسة، ٢٠٠٣.

—. *المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك*. الكويت: عالم المعرفة،

١٩٩٨.

—. *المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية*. الكويت: مطابع الوطن، ٢٠٠١.

- عبد القاهر الجرجاني. *أسرار البلاغة*. تحقيق: محمود محمد شاكر. القاهرة: مطبعة المدني، ١٩٩١.

—. *دلائل الإعجاز*. تحقيق: محمود محمد شاكر. القاهرة: مكتبة الخانجي، ٢٠٠٠.

- عبد الله الطيب. *المرشد إلى فهم أشعار العرب*. بيروت: دار الفكر، ١٩٧٠.

- عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان. *كتابة البحث العلمي صياغة جديدة*. الرياض: مكتبة الرشد، ٢٠٠٥.

- عبد الوهاب المسيري. *الثقافة والمنهج*. المحرر سوزان حرفي. دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٩.

- علي علي صبح. *معالم البحث الأدبي*. الجيزة: دار أبو المجد، ١٩٨٧.

- كمال عبد الباقي لاشين. *تذوق الشعر منهج وتطبيق*. القاهرة: ناس للطباعة، ١٩٩٩.

—. "منهج محمد أبو موسى في قراءة الشعر القديم." *الندوة العلمية الرابعة جهود علماء الأزهر في الدراسات اللغوية والتاريخية* ١٩ ٤، ٢٠١٦: ٣ – ٧٠.

- لانسون / ماييه. *منهج البحث في الأدب واللغة*. المترجم: محمد مندور. القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٥.

- مالك بن نبي. *مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي*. المترجمون:

بسام بركة ، أحمد شعبو. دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٢.

- محمد الخضر حسين. *نقض كتاب في الشعر الجاهلي*. القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، بلا تاريخ.
- محمد عبد المنعم خفاجي. *البحوث الأدبية مناهجها ومصادرها*. بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٧.
- محمد علي التهانوي. *موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم*. تحقيق: علي دحروج وآخرون. لبنان: مكتبة لبنان، ١٩٩٦.
- محمد عناني. *نظرية الترجمة الحديثة: مدخل إلى مبحث دراسات الترجمة*. القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر، ٢٠٠٣.
- محمد محمد أبو موسى. *الشعر الجاهلي دراسة في منازع الشعراء*. القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠٠٨.

—. *تقريب منهاج البلغاء لحازم القرطاجني*. القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠٠٨.

—. *خصائص التراكيب*. القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٩٦.

—. *دراسة في البلاغة والشعر*. القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٩١.

—. *مدخل إلى كتابي عبد القاهر*. القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠١٠.

- محمود محمد شاكر. *نمط صعب ونمط مخيف*. القاهرة: مطبعة مدني، ١٩٩٦.
- مهدي فضل الله. *أصول كتابة البحث العلمي وقواعد التحقيق*. بيروت: دار الطليعة، ١٩٩٨.

يوسف خليف. *الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي*. القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٨.

* * *